جامعة: جنوب الوادى-فرع الغردقة

كلية التربية

محاضرات فى مقرر اللغة العربيَّة

الفرقة الثانية طفولة

إعداد/

قسم اللغة العربيَّة

٢٠٢٢م/٢٠٢٣م

بيانات المقرر:

الكلية: كلية التربية بالغردقة– جامعة جنوب الوادي.

الفرقة: الثانية.

التخصص: شعبة طفولة.

التاريخ: ٢٠٢١-٢٠٢٢م.

عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة.

عدد ساعات المقرر: ساعتان.

إعداد: قسم اللغة العربية.

****

مقدمة

إن اللغةُ العربية ذات ميزات عديدة، فهي أوسعُ اللغات وأصلحها؛ في جمع معانٍ، وإيجازِ عبارة، وسهولةِ جريٍ على اللسان، وجمالِ وقْعٍ في الأسماع، وسرعةِ حفظ، ومن مميزات لغتنا الجميلة، سعة مفرداتها الوفيرة، فكلُّ مرادفٍ ذو دلالة جديدة، فالأسدُ له أسماء كثيرة لكلٍّ واحد منها معنى يختصُّ به، وللناقةِ كذلك، وما من حيوان أو جماد أو نبات إلا وله الكثير من الأسماءِ والصفات؛ لذا عزيزى الطالب يجب عليك أن:

١- معرفةُ أوجهِ اللغة؛ وهو أمرٌ ضروري في اختيارِ ما يناسب النص، وقَصْر المعنى على الوجهِ المراد، ومن ذلك على سبيل المثال قوله -تعالى -:﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى: ٧]، فإنَّ لفظة: (الضلال) تقعُ على معانٍ كثيرة، فتوهَّم البَعْضُ أنَّه أراد بالضَّلالِ الذي هو ضد الهدى، وزعموا أنَّ الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان على مذهبِ قومه أربعين سنة، وهذا خطأ فاحش؛ فقد طهَّرَه الله تعالى لنبوتِه، وارتضاه لرسالته، ومن سيرته -صلَّى الله عليه وسلَّم- ما يرد على مزاعمِهم؛ إذ سُمِّي في الجاهليةِ الأمين، وكانوا يرتضونه حكمًا لهم وعليهم، والله -سبحانه وتعالى- إنما أراد بالضَّلالِ الذي هو الغفلة، كما قال في مواضعَ أخرى: ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه: ٥٢]؛ أي: لا يغفل -سبحانه وتعالى-.

٢- معرفة الصِّيغ وما تدل عليه من معنى؛ لئلا يؤدِّي ذلك إلى تفسيرِ القرآن الكريم بما لا يليق، أو فهم المعنى غير المراد؛ ومن ذلك على سبيل المثال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وغير ذلك من الآياتِ التي ورد فيها نفي الظلم عن الله - سبحانه وتعالى - بصيغة (فعَّال)، ففي هذه الآيةِ وما أشبهها وردت لفظةُ (ظلاَّم) بصيغةِ المبالغة، ومعلومٌ أنَّ نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصلِه؛ مثال ذلك قولك: زيد ليس بنحَّارٍ للإبل، لا ينفي

إلا مبالغته في النَّحر، ولا ينفي أنه ربما نَحَر بعضَ الإبل، ومعلوم أنَّ المرادَ بنفي المبالغة في الآياتِ الكريمة، هو نفي الظلم من أصلِه عن الله عز وجل.

٣- معرفةُ الأوجه الإعرابية: فمما يجبُ معرفتُه على المفسر معرفة أوجه الإعراب؛ لأنَّ المعنى يتغيرُ بتغير الإعراب، ويختلف باختلافِه، وعلى سبيلِ المثال لو أنَّ قارئًا قرأ: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] برفع (كفو) ونصب (أحد) لكان قد أثبتَ كفوًا لله - تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا - بل إنَّ الحركةَ لها دورٌ في المعنى ولو لم تكن إعرابًا، ويدلُّ على ذلك لزوم كسر الخاء في قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣]، وكسر الواو في قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤]، فإنَّ فتحَها يؤدِّي إلى الكفر.

٤- ومما يحتاجُه طالبُ علم التفسير المعرفة بلغات العرب؛ إذ من المعلومِ أنَّ لكلِّ قبيلة لغتها، وأفصح اللغاتِ لغة قريش، إلا أنَّ هناك بعضَ الكلمات في القرآن جاءت على غيرِ لغة قريش، فقد أشكل على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - معنى قوله - تعالى -: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧]، فقام في المسجدِ فسأل عنها، فقامَ إليه رجلٌ من هذيل، فقال معناها: "على تنقصٍ"؛ أي: شيئًا فشيئًا، ودليلُه قولُ شاعرنا الهذلي يصفُ سرعةَ ناقتِه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

وما بين يديك -عزيزى الطالب- مقرر اللغة العربية، وهو مقسَّم إلى ثلاثة أبواب، يتضمن الباب الأول بعض المباحث في اللغويات، والثانى يتضمن بعضها في الأدب ونصوصه، أما الثالث فيتضمن بعض المباحث في علم البلاغة...

وفقكم الله وسدد خطاكم

الفصل الأول

أدب ونصوص

"تماذج من العصر: الأموي والعباسي والأندلسي"

المبحـــث الأول
نصوص أدبيَّة

أولا: أبو العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق من الموالي، وولاؤه في قبيلة عنزة، فهو عنزي بالولاء، وكان جده كيسان من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينة، سباهم خالد بن الوليد، وقدِم بهم على أبي بكر رضي الله عنه، وأم أبي العتاهية وتكنى أم زيد كانت أيضا مولاة لبني زهرة.

وقد اشتَهر بلقب أبي العتاهية – وليس هذا كنيته، فكنيته أبو إسحاق كما سبق – وعتاهية كلمة تدل على معان كثيرة؛ يقول بن منظور في لسان العرب: "عته في العلم: أُولع به، وحرَص عليه، والعتاهة والعتاهية مصدر عته؛ مثل الرفاهة والرفاهية، والعتاهية ضلال الناس من التجنن والدهش، والتعتُّه المبالغة في الملبس والمأكل، ورجل عتاهية أحمق، وتعته تنظف، وأبو العتاهية الشاعر المعروف، ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل: لو كان الأمر كذالك، لقيل أبو عتاهية بغير تعريف".

والسبب في تلقيبه به أن الخليفة المهدي قال له يومًا: "أنت إنسان متحذلق – أي متظرف – متعتِّه، فاستوى له من ذلك لقب غلب عليه دون اسمه وكنيته.

ويقول بن منظور: "لقِّب بذلك؛ لأن المهدي قال له: أراك متخلطًا متعتِّهًا، وكان قد نعته بجارية للمهدي، واعتقل بسببها، وعرض عليها المهدي أن يزوِّجها له فأبت، واسم الجارية عتبة، وقيل: لقِّب بذلك؛ لأنه كان طويلًا

مضطربًا، وقيل: لأنه يُرمى بالزندقة، ولأنه كان يحب المجون والتعتُّه"، وقد أصاب المهدي في إطلاق هذا اللقب أبي العتاهية على الشاعر، لدلالته أبلغ دلالة على صفاته الجسمية والخلقية، فدل على اختلاطه واضطرابه ومجونه وطوله، وتعتُّهه بحب عتبة.

وكانت ولادة الشاعر في عين التمر وهي قرية قرب الأنبار غربي الكوفة سنة ١٣٠، وانتقل مع أبيه صغيرًا إلى الكوفة، وكانت الكوفة مدينة العلماء والمحدثين والعبَّاد والزُّهاد، وقد عاصر فيها الشاعر أمثال علقمة بن قيس وعمرو بن عتبة بن فرقد، والربيع بن خيثم، وأويس القرني، والنخعي والشعبي، وسفيان الثوري وشريك القاضي، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة والكسائي والفراء.

ومع اتساع الكوفة وانتشار الرخاء، نشأت فيها طوائف من المُجَّان يقولون الشعر، متنقلين على معاهد اللهو، وموغلين في حمأة المفاسد، يفسقون ويتهتكون ويتزندقون، وينعتون أنفسهم بالظرف، وأنهم حلية الأرض ونقش الزمان؛ أمثال حماد عجرد، ووالبة بن الحباب، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد وشراعة بن زندبود.

فيحيى بن زياد مثلًا كان زنديقًا، وكان يتصنع الظرف وحسن المظهر؛ يقول فيه الخطيب البغدادي: "كان شاعرًا أديبًا ماجنًا، نُسب إلى الزندقة، وكان صديقًا لمطيع، وحماد، ووابلة، وغيرهم من ظرفاء الكوفيين".

في هذه البيئة نشأ أبو العتاهية، وكان يخالط هؤلاء الشعراء الْمُجَّان، ويختلف إلى حلقات العلماء ومجالس العباد، وقد كان فقيرًا، فكان يعمل مع أبيه في بيع الفخَّار بالكوفة، وقال الشعر وبرع فيه وهو حدثٌ، وظهر نبوغه في وقت مبكر.

رُوي أنه اجتاز بفتيان جلوس يتناشدون الشعر، وكان يحمل قفص فخار، ويدور به ويبيع منه، فسلم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال للفتيان:

"أراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه، أفأقول شيئًا منه فتجيزونه؟ فإن فعلتم فلكم علي عشر دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؟"، فهَزِئوا منه وسخروا، وقالوا: "نعم لا بد أن نشتري بأحد القمارين رطبًا يؤكل، فإنه قمار حاصل". وجعل رهنه على يد أحدهم، ففعلوا فقال: أجيزوا ساكني الأجداث أنتم، وجعل بينه وبينهم وقتًا وعلامة في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت، وجب القمار عليهم، فلم يأتوا بشيء، فأخذ الدراهم، وجعل يهزأ منهم وتمم الشعر:

ساكني الأجداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ما صنعتُم أربحتم أم خسرتم

ومع أن أبا العتاهية بدأ حياته مع المجَّان والمتخنثين، وفساق الشعراء، وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، فإن بواكير شعره كانت في الزهد ووصف الموت وأحواله، ونزل (الحيرة) وهي قريبة من الكوفة، فهوى امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال، وتُدعى سعدى، وكان ينظم لها الشعر الذي تنوح به على الموتى، وكانت سعدى مولاة لبني معن بن زائدة، وقد أدت صلته بها إلى خلاف ومهاجاة بينه وبين عبدالله بن معن بن زائدة.

انتقاله إلى بغداد:

وفد أبو العتاهية إلى بغداد في خلافة المهدي (١٥٨- ١٦٩) في نحو الثلاثين من عمره، وكانت بغداد – التي أنشأها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٩هـ – قد أخذت في الازدهار، فانتقل النشاط العلمي من الكوفة والبصرة إليها بعد أن أصبحت دار الخلافة ودار الإسلام، وكان أبو العتاهية حين وصل إلى بغداد يجتهد في الوصول إلى قصر الخلافة، فأقبل يمدح المهدي، ويفكر في الوسائل التي تُدنيه منه؛ يقول ابنه محمد: "فلما تطاولت أيامه،

أحبَّ أن يُشهر نفسه بأمر يصل به إليه، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة تعرَّض لها، وأمل أن يكون تولُّعه بها هو السبب الموصل إلى حاجته، وانهمك في التشبيب والتعرض في كل مكان لها، والتغرد بذكرها وإظهار شدة عشقها".

وله مع عتبة حوادث عديدة؛ منها ما رواه المبرد أن أبا العتاهية أهدى إلى المهدي برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبًا عليه بالغالية:

نفسي بشيء من الدنيا معلقة لله والقائم المهدي يكفـيها

إني لأيئَس منها ثم يُطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

قال: فهم أن يدفع إليه عتبة، فقالت له: "يا أمير المؤمنين، مع حرمتي وخدمتي تدفعني إلى بائع جرار متكسب بالشعر؟"، فبعث إليه: "أما عتبة، فلا سبيل لك إليها، وقد أمرنا لك بملء برنية مالًا".

وكان يتجاسر على التشبيب بها في مقدمة مدائحه للمهدي، فقد روى الحافظ ابن عبدالبر في مقدمته لديوان شعر أبو العتاهية أن الشعراء حضروا يومًا عند المهدي، فقدم أبو العتاهية في الإنشاد، فقال بشار بن برد لأشجع السلمي: "يا أخا سليم، من هذا الذي قدم للإنشاد علينا؟ أهو ذلك الكوفي الملقب؟"، قال: "نعم"، فقال بشار: "لا جزى الله خيرًا من جمعنا به أيستنشد قبلنا؟"، فقال له أشجع: "هو ما ترى"، فأنشد أبو العتاهية:

ألا إن جارية للإما م قد أسكن الـــــــــــحب سربالها

مشت بين حور قصار الخطا تجاذب في المشي أكفالها

وقد أتعب الله نفسي بهـــــــــــا وأتعب باللوم عذابها

فقال بشار: "أبهذا الشعر يقدم علينا؟"، فلما أتى على قوله:

أتته الخلافـــــة منقادة إليه تجرر أذيالـــها

فلم تك تصلح إلا له ولـــــم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره لزُلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تُعطه نيَّات القلوب لَما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من قول لا إليه ليبغض من قالها

فاهتز بشار طربًا، وقال: "يا أخا سليم، أترى الخليفة لم يَطِرْ طربًا عن فراشه لِما يأتي به هذا الكوفي؟".

وقضى أبو العتاهية مدة طويلة يتغزل بعتبة حتى شاع فيها شعره، فأمر المهدي بجلده وإدخاله السجن، ولم يعف عنه إلا بشفاعة خاله يزيد بن منصور الحميري.

وفي أيام الرشيد عاد الشاعر يتغزل بعتبة والسعي للزواج منها؛ حدث أبو العباس يحيى بن ثعلب قال: "كان أبو العتاهية قد أكثر في مسألة الرشيد في عتبة، فوعده بتزويجها، وأنه يسألها في ذلك، ثم دعا به وقال: "ضمنت لك يا أبا العتاهية، وفي غد تُقضى حاجتك إن شاء الله"، وبعث إلى عتبة: "إن لي إليك حاجة، فانتظريني الليلة في منزلك"، فأكبرت ذلك وأعظمته وصارت إليه تستعفيه، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها، فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه، فقال لها: "لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها"، قالت: "أنا أَمَتُك وأمرك نافذ فيما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك رضي الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت عني حجة وجبت علي أخرى، لا أقتصر على الكفارة، وكلما أفدت شيئًا تصدَّقت به إلا ما أصلي فيه"، وبكت بين يديه فرقَّ لها ورحِمها، وانصرف عنها، وغدا عليه أبو العتاهية، فقال له الرشيد: "والله ما قصرت في أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك"، وشرح له الخبر؛ قال أبو العتاهية: "فلما أخبرني بذلك مكثت مليًّا لا أدري أين أنا قائم أو قاعد، وقلت: الآن يئست منها؛ إذ

ردتك وعلمت أنها لا تجيب أحدًا بعدك"، فلبس أبو العتاهية الصوف، وقال في ذلك من أبيات كثيرة، منها:

حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرة	**والموت يقطع حيلة المـحتال**
ومن النعاة إلى ابن آدم نفسه	**حرك الخطى وطلوع كـل هلال**
مالي أراك لحر وجهك مخـلقًا	**أخلقت يا دنيا وجوه رجـــال**
قست السؤال فكان أعظم قيمة	**من كـــــل عارفة أتت بسؤال**
ولقد عجبت من المثمر ما له	**نَسِيَ المثمر زينة الإقـــلال**
فإذا ابتليت ببذل وجـــــهك	**سائلًا فابذله للمتكرم المفضال**
وإذا خشيت تعذرًا في بلـــدة	**فاشدُد يديك بعاجل الترحـــال**
واصبر على غِيَر الزمان فإنما	**فرج الشدائد مثل حـــل عقال**

وهكذا نجد في هذه القصيدة ملامح فن أبي العتاهية في الزهد الممزوج بالحكمة والمرصع بالاقتباسات البديعة من كتاب الله عز، وجلو كلام السلف الصالح، وقد أبدى ابن الأعرابي إعجابه البالغ بهذه القصيدة وقال: "ما رأيت قط شاعرًا أطبع ولا أقدر على البيت من أبي العتاهية، وما أحسب مذهبه إلا ضربًا من السحر"، وثار برجل كان في مجلسه؛ لأنه قال: "إن أبا العتاهية ضعيف الشعر"، فقال له: "الضعيف والله عقلك، لأبي العتاهية تقول ضعيف الشعر؟!"، ونذكر أخيرًا في سبب توبة أبي العتاهية –شاعرنا الذي نحنح بصدد دراسته–من مصاحبة المجَّان، وقرض الشعر في الغزل والهجاء والمديح، وقصْر شعره على الزهد والحكمة، ما رُوي عن أبي سلمة الغنوي أنه سأل أبا العتاهية: "ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟"، فأجابه: "إذًا والله أخبرك، إني لما قلت:

الله بيني وبين مولاتي أهدت لي الصد والملالات

منحتها مهجتي وخالصتي فـكان هجرانها مكافاتي

هيَّمني حبُّها وصيَّرني أُحـــدوثةً في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كأن آتيًا أتاني، فقال: "ما أصبتَ أحدًا تدخله بينك وبين عتبة يحكم علينا بالمعصية إلا الله تعالى؟"، فانتبهتُ مذعورًا، وتبتُ إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل".

****

ثانياً: جـــرير

جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (٣٣ هـ – ١١٠ هـ/ ٦٥٣ – ٧٢٨ م) شاعرُ من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد، ولد في بادية نجد، ومن أشهر شعراء العرب في فن الهجاء، وكان بارعًا في المدح أيضًا، وكان جرير أشعر أهل عصره، ولد ومات في نجد، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمانه، ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا، بدأ حياته الشعرية بنقائض ضد شعراء محليين، ثم تحول إلى الفرزدق –ولج الهجاء بينهما نحوا من أربعين سنة– وإن شمل بهجائه أغلب شعراء زمانه، ومدح بني أمية ولازم الحجاج زهاء العشرين سنة، وقد وصلت أخباره وأشعاره الآفاق وهو لا يزال حيا، واشتغلت مصنفات النقد والأدب به، اقترن ذكره بالفرزدق والأخطل.

نشأته:

كان له نسب كريم، مع أن والده كان على قدر كبير من الفقر، ولكن جده حذيفة بن بدر الملقب بالخطفي كان يملك قطيعا كبيرا من الإبل والغنم، وكان ينظم الشعر وكذلك كانت أمه، وعندما ولد جرير وضعته أمه لسبعة أشهر من حملها، ورأت رؤيا مفزغة فذهبت إلى العراف حتى يفسر الرؤيا، فأخبرها أنها ستَلِدِ عضلة من العضل، وقد نشأ جرير في بادية نجد وعاش فيها، وتعلم الشعر مبكرًا على لسان جده حذيفة بن بدر، وقد نشأ في العصر الأموي الذي تعددت فيه الأحزاب، فكان لكل حزب شعراؤه الذين يتحدثون باسمه ويذودون عنه، وكان على جرير أن يذود عن شرف وكرامة قبيلته، فاضطر أن يفني عمره في مصارعة الشعراء وهجائهم حتى قيل أنه هجا وهزم ثمانين شاعرًا في عصره، ولم يثبت منهم إلا الأخطل والفرزدق.

شعره:

شاع أن جريرا من الذين "هجوا فوضعوا من قدر من هجوا" شأن زهير وطرفة والأعشى والنابغة؛ لذلك لم يرفع بنو نمير رأسا بعد بيت جرير إلّا نكس بهذا البيت، وصنعت الأخبار في ما يجد خصمه من العناء والموت أحيانا لنجاعة شعره وعميق أثره في الناس، وجرت أشعاره مجرى الأحاجي، وتمثلوا بها في تصاريف حياتهم ووضعت فيها الأصوات ونسبت إلى آراء في المغنين، وجعل رواية لأخبارهم، ومورثهم الشعر، واتصل بهم وسافر إليهم لينصت إلى ما وضعوا في أشعاره من أصوات، ولذلك سارت أشعاره في كتب الأخبار والتاريخ، وجرت فيها مصادر معرفة وأقيسة في الإفتاء، وعل سبيل المثال: أمر الحجاج بن يوسف (ت٩٥هـ) بأن تضرب عنق سعيد بن جبير، وقد نكث ببيعتين لأمير المؤمنين، وجعل مرجعه في هذا الأمر قول جرير:

يا ربّ ناكث بيعتين تركته وخضاب لحيته دم الأوداج

وأعرض الخليفة المنصور (ت١٥٨هـ) عن الزواج بأخت هشام بن عمرو التغلبي، لبيت قاله جرير في بني تغلب:

لا تطلبنّ خوّولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

قال: «فأخاف أن تلد لي ولدا فيعبر بهذا البيت»، وقد شاعت الأخبار في شعر جرير وسيرته في الناس، وشاعت الأخبار التي تنزل جرير منزلة الناقد في تقدير مراتب الشعراء والحكم بينهم، وشبهت منزلته من شعراء الإسلام بمنزلة الأعشى من شعراء الجاهلية، فهو أستاذهم لذلك أقر الراعي النميري (خصم جرير) بأن: «الإنس والجن لو اجتمعت ما أغنوا فيه شيئا»، ولذلك أيضا قال أبو مهدي الباهلي، وهو من علماء العرب: «لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم»، ومن شعره يرثي زوجته، وهي من أعظم المراثي العربية:

لولا الحياء لهاجني استـعبارُ ولزرت قبركِ والحـــبيبُ يزارُ
ولقد نظرتُ وما تمتعُ نظـرةٌ في اللحدِ حيث تمكنُ المحفارُ
فجزاكِ ربكِ في عشيركِ نظرةٌ وسقي صـــداك مجلجل مدرارُ
ولَّهتِ قلبي إذ علتني كـــبرةٌ وذوو التمائم من بنيك صغارُ

ففي هذه الأبيات يظهر حزنه، حين يرثي الشاعر زوجته المتوفاة، ويقع في أبياته بين صراع تفرضه عليه العادات والتقاليد، وبين آلامه وأحزانه ومحبته لزوجته، والأبيات تصور فقده زوجته، أم أولاده، وقد أصبح متقدما في السن، فقد كبر وكاد أن يتحطم، فهو بعد وفاة زوجته أصبح مسؤولاً عن تربية أطفاله الصغار ورعايتهم، ثم ينتهي إلى التسليم بأمر الله ثم يدعو لها أن ترعاها الملائكة، لأنها كانت زوجة وفية صالحة.

تفوق جرير:

قال أعرابي في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان عنده جرير: «بيوت الشعر أربع (مدح وفخر وغزل وهجاء) وفي كلها غلب جرير»، ففي الفخر قال:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وفي المدح قال:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقوله في الغزل:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وفي الهجاء قوله:

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

جرير والراعي النميري:

تبادل جرير والفرزدق الهجاء لأكثر من أربعين سنة، وكان كثير من الشعراء ينزلق في هذه المناظرة مؤيدا شاعرا على الآخر، وهذا ما حدث للراعي النميري، حيث انحاز إلى الفرزدق على حساب جرير حيث قال:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فلم يمهله جرير كثيرا، بل أعد له في اليوم التالي قصيدة تتكون من ٩٧ بيتا من الشعر، فأتى سوق المربد بعد أن احتل الناس مراكزهم، وأسرج ناقته عند مجلس الفرزدق والراعي النميري وألقى قصيدته، ويطلق عليها الدامغة، وهذه بعض أبياتها:

أعد الله للشعراء منـــــــي صواعق يخضعون لـها الرقابا

فلا صلى الإله على نمير ولا سقيت قبورهم السحـــــــــــابا

ولو وزنت حلوم بني نمير على الميزان ما بلغت ذبـــابا

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعب بلغت ولا كـــــلابا

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضـــابا

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر، ولكل هوى وميل في تقديمه صاحبه؛ فمن كان هواه في رقة النسيب، وجودة الغزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف في أغراض شتى فضّل جريرا، ومن مال إلى إجادة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك وصلابة الشعر، وقوّة أسره فضّل الفرزدق، ومن نظر بُعد بلاغة اللفظ، وحُسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها، حكم للأخطل، وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتا سائرة، هي الغاية التي يضرب بها المثل، ومن ذلك قوله في الفخر:

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميم حَسِبْت الناس كلَّهُم غِضابا

ومن قوله يمدح عمر بن عبد العزيز:

إنـا لنرجو إذا مـا الغيث أخلفنـا من الخليفـة مـا نرجو من المطر

ومن قوله في التهكم:

زعـم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشـر بطـول سـلامة يـا مربـع

وقوله في مدح عبد الملك بن مروان:

ألَسْتُم خَيْر مَنْ ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحٍ

وقوله في صدق النفس:

إني لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وتلحظ روعة هذه الأبيات، وجمالها، حتى صارت علامة على تفوق جرير الخطفي في الشعر، كما صارت أمثله يَستشهد بها في مواقف الحياة المختلفة.

المديح عند جرير:

لقد أكثرَ جريرُ من المديح، وخصوصا لبني أمية، وكان مديحَهُ لهم يشيد بمجدهم التليدِ ويروي مآثرَهم ومكارمَهم، وإذا مدح الحجاج أو الأمويين بالغ في وصفهم بصفات الشرف وعلو المنزلة والسطوة وقوة البطش، ويلح إلحاحا شديداً في وصفهم بالجود والسخاء ليهز أريحيتهم، وقد يسرف في الاستجداء وما يعانيه من الفاقة، كما تكثر في أماديحه لهم الألفاظ الإسلامية والاقتباسات القرآنية، وقد عاصر الشاعر "عبيد الراعي" الشاعرين جريرًا والفرزدق، فقيل إن الراعي الشاعر كان يسأل عن هذين الشاعرين فيقول: «الفرزدق أكبر منهما وأشعرهما»، فمرة في الطريق رآه الشاعر جرير وطلب منه أن لا يدخل بينه وبين الفرزدق فوعده بذلك، لكن الراعي هذا لم يلبث أن عاد إلى تفضيل الفرزدق على جرير، فحدث أن رآه ثانية، فعاتبه فأخذ يعتذر إليه، وبينما هما على هذا الحال، إذ أقبل ابن الراعي وأبى أن يسمع اعتذار أبيه لجرير، حيث شتم ابن الراعي الشاعر جريرًا وأساء إليه.

كما أن الهجاء عند جرير شديد الصلة بالفخر، فهو إذا هجا افتخر، وجعل من الفخر وسيلة لإذلال خصمه، أما موضوع فخره فنفسه وشاعريته، ثم قومه وإسلامه، فإذا هجا الفرزدق اصطدم بأصل الفرزدق الذي هو أصله، فكلاهما من"تميم"، وإذا هجا الأخطل فخر بإسلامه ومضريته، وفي مضر النبوة والخلافة:

إن الذي حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا

غزل جرير:

لم يكن غزل جرير فنا مستقلا في شعره، فقد مزج فيه أسلوب الغزل الجاهلي بأسلوب الغزل العذري. فهو يصف المرأة ويتغزل بها، ثم يتنقل من ذلك إلي التعبير عن دواخل نفسه، فيصور لنا لوعته وألمه وحرمانه، كما يحاول رصد لجات نفسه فيقول:

إن العيون التي في طرفها حـــور قتلننا ثم لـــم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتي لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

أسلوب جرير:

يتميز أسلوبه بسهولة الألفاظ وهي ظاهرة في جميع شعره، وبها يختلف عن منافسيه الفرزدق والأخطل اللذين كانت ألفاظهما أميل إلى الغرابة والتوعر والخشونة، وقد أوتي جرير موهبة شعرية ثربة، وحسا موسيقيا، ظهر أثرهما في هذه الموسيقى العذبة التي تشيع في شعره كله، وكان له من طبعه الفياض خير معين للإتيان بالتراكيب السهلة التي لا تعقيد فيها ولا التواء، فكأنك تقرأ نثراً لا شعرا.

إن اعتماد جرير على الطبع وانسياقه مع فطرته الشعرية من الأمور التي أدت أيضا إلى سهولة شعره وسلاسة أسلوبه ورقة ألفاظه، إذ كان لشعره موسيقى تطرب لها النفس، ويهتز لها حس العربي الذي يعجب بجمال

الصيغة والشكل، ويؤخذ بأناقة التعبير وحلاوة الجرس أكثر مما يؤخذ بعمق الفكرة والغوص في المعاني، ولهذا أبدع جرير في أبواب الشعر التي تلائمها الرقة والعذوبة، كالنسيب والرثاء.

وكان لحياة جرير البدوية أثرها الكبير في شعره، كما كان لها أثرها في نفسه، فتأثير النشأة البدوية واضح من جزالة ألفاظه ورقتها وسهولتها. إلا أن شعر جرير لم يخلص لأثر البادية وحدها، فقد كان للقرآن الكريم أثره في شعره، إذ لطف فيه من طابع البداوة، وكان له أثره في رقة ألفاظه وسهولة أسلوبه، كما كان له أثر في معانيه وأفكاره، كما أن جرير لا يكثر من الصور البيانية في قصائده، ففي شعره يظهر الأسلوب البدوي، وهو قريب التناول جميل التعبير.

خصائص أشعار جرير:

يتميز شعره بملامح فنية أبرزها أنه في شعره يجول في ساحات واسعة الأرجاء، متعددة الجوانب، فقد طرق أكثر الأغراض الشعرية المعروفة وأجاد فيها، وأعانته على ذلك طبيعته الخاصة المواتية، وكانت معاني الشاعر جرير في شعره فطرية، كما أن الصور والأخيلة جاءت متصلة بالبادية التي ارتبطت بها حياته أشد الارتباط، ولجرير بعد ذلك قدرته على انتقاء اللفظ الجزل، ومتانة النسج، وحلاوة العبارة، والجرس الموسيقي المؤثر، وخاصة في غزله حيث العاطفة الصادقة التي تتألم وتتنفس في تعبير رقيق لين.

****

ثالثاً: المتنبي[1]:

من هو أبو الطيب المتنبي؟ المتنبي هو شاعرٌ وحكيمٌ عربيٌّ شهيرٌ، عُرف بشخصيته المميزة وما كان يكتنفها من غموض، وشعر المتنبي حيّر الناس، واستعصى عليهم فهم مقاصده، وهي الأسباب التي دعت ابن رشيق ليلقِّبه بمالئ الدنيا وشاغل الناس، والجدير بالذكر أنّ شاعرًا لم يحظَ شعره بما حظي به شعر المتنبي من اهتمامٍ وعنايةٍ، إذ قام بشرحه أفذاذ اللغة وعلماؤها، ومنهم عالم النحو الكبير ابن جنّي، والشاعر أبو علاء المعرّي، واللغويّ المعروف ابن سيّدة.

وقد ترك المتنبي وراءَه عددًا كبيرًا من القصائد المتنوّعة، والتي بلغ عددها ثلاثمائة وستة وعشرون قصيدةً، وتعتبر هذه القصائد سجلّاً تاريخيًا لأحداث عصره في القرن الرابع الهجريّ، كما وتعتبر بمثابة سيرةً ذاتيةً للشاعر، حيث يستطيع القارئ من خلالها معرفة كيف جرت الحكمة على لسانه وكيف تطورت، لا سيّما في قصائده الأخيرة قبل موته.

لماذا سمي المتنبي بهذا الاسم؟

تختلفُ الأقوال في سبب تسمية المُتنبّي باسمه هذا، فقد قيل في ذلك الآتي: لُقِّب المتنبّي بهذا اللّقب لما قيل عنه من ادّعاء النبّوة في شبابه، وقد لقيَ عِقاب ادّعائه من والي حمص فسُجِن؛ إلّا أنّ هذه الرواية مُلفّقة لا صحّة لها، وقد وُضعت بعد زمنٍ من وفاة المتنبّي بحسب الأديب المصري أبو فهرٍ محمود محمّد شاكر، الذي تتبع روايات النبوة كلها، ولُقِّب المتنبّي بهذا اللّقب لما وردَ عنه من ورعٍ في خُلقه، فقد كان آخذاً نفسه بالجدّ ومُنصرفًا للعلم مبتعدًا عن الفواحش، وقد حظيَ بمنزلةٍ عظيمة عند عُلماء الأدب واللغة

[1] - منقول بتصرف.

والنحو؛ أمثال الربعي وابن جني وأبي علي الفارسي، وقد كان مُكثرًا من ذِكر الأنبياء في شعره، مُشبِّها نفسه بهم، ومُقارنًا أخلاقَ من يمدحهم بأخلاقهم، ومن ذلك قوله عن نفسه:

مَا مُقامي بأرْضِ نَخْلَةَ إلاّ كمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَـــهُودِ

أنَا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّـــه غَريبٌ كصَالِحٍ فـــــي ثَمودِ

وقد وردَ عن أبي علاءٍ المعرّي قوله في كتابه معجز أحمد أنّ المُتنبّي لُقّب بهذا اللقب نسبة إلى النَبْوَة، ومعناها المكانُ المرتفع؛ إشارةً لرفعة شِعره وعُلوّه لا إشارةً لادّعائه النبوّة.

حياة المتنبي:

حياة المتنبي كانت حياة المتنبي زاخرة بالمحطات والمراحل التي صاغت تجربته الأدبية، وفيما يلي أهم محطات حياته. مولد أبي الطيب المتنبي ونسبه وُلد المتنبي في الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائةً في منطقةٍ تُسمى كِندة، وقد اختلف المؤرخون في نسبه، فمنهم من نسبه إلى قبيلة كندة وهي إحدى أشهر قبائل العرب، ومنهم من نسبه إلى حيّ كِندة في الكوفة مكان ولادته، وأنكروا نسبه إلى قبيلة كِندة، كما واختلف المؤرخون أيضا في اسم والده، فمنهم من قال أنّ اسم المتنبي هو أحمد بن الحسين بن مرّة بن عبد الجبار الجعفي، ومنهم من قال أن اسمه أحمد ابن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي.

وأخبر آخرون أن اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، وقال البعض أن والده كان شيخًا يسمى عبدان، ولم يأتِ المتنبي على ذكر والده في ديوانه أبدا، فلم يمدحه أو يفتخر به، ولم يَرْثه حين مات، حتى يخالُ البعض أنّه لا يعرفه، ولم يستطع المؤرخون معرفة سبب تجاهل المتنبي لذكر والده في شعره، فهل كان السبب عدم معرفته له؟ أم أنّ أباه كان رجلاً بسيطاً فلم يكن له قيمةً تُذكر؟

أمّا أمّه فلا يُعرف عنها اسمها ولا أصلها ولا من أي البلاد هي، إلا أنّه من المعروف أنّه بعد موتها كفلته أمها التي هي جدّته، وعطفت عليه وأحبته حباً كبيراً، وربته إلى أن اشتد عوده وأصبح رجلاً، ولم يُعرف اسمها أيضاً ولا اسم أبيها، لكنّ بعض الرواة ذكروا أنّها كانت من الكوفة وأنها تُنسب إلى بني همدان، وأنّها كانت امرأةً صالحةً، كما أنّ المتنبي لم يذكر عن نسبها شيئاً في ديوانه، لكنّه أشار إلى أنّ نسبها كان كريماً في هذا البيت الذي رثاها فيه حين ماتت فقال:

لَوْ لمْ تَكُوني بِنْتَ أكْرَمِ والِدٍ لَكانَ أباكِ الضّخْمَ كونُكِ لي أُمّا

شكّك الدكتور طه حسين في نسب المتنبي فقال: "إن مولد المتنبي كان شاذا، وإنّ المتنبي أدرك هذا الشذوذ، وتأثر به في سيرته كلها، ولم يستطع أن يلائم به نفسه الشاذة، وبين البيئة الكوفية التي كان يُراد له أن يعيش فيها" غير أنّ هذا الكلام لا دليل له، لا سيما أنّ المتنبي كان يرى نفسه عربيّاً كما يظهر بجلاءٍ في سيرة حياته التي امتلأت بالبراهين التي تشير إلى عروبته، وليس أدلّ على ذلك من إخبار المتنبي عن نفسه في قوله:

لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي وَبنَفْسِي فَخَرْتُ لا بجُدودِي

وبِهِمْ فَخْرُ كلّ مَنْ نَطَقَ الضّاد وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطّرِيدِ

أمّا شوقي ضيف فله رأيّ آخر في قضية التشكيك في نسب المتنبي إذ يرى أنّ سبب ذلك التشكيك هو عدم ذكر المتنبي لوالده في أشعاره فحسب، فقال: "لقد شكوا في نسب المتنبي لأنه ليس في أشعاره أي إشارةٍ لأبيه و أمه وهذه مقدمةً لا تُحتم النتيجة، إذ يُشرك المتنبي في ذلك كثيرٌ من الشعراء العباسيين، الذين لا يشك في نسبهم العربيّ، أمثال البحتري، حيث إنّ ديوانه يخلو من الحديث عن أبيه ويخلو من ذكر أمه، فهل ترتب على ذلك أنه كان متهما في نسبه".

تعليم أبي الطيب المتنبي:

التحق المتنبي بكُتَّابٍ كان فيه أبناء أشراف العلويين لتلقّي علوم اللغة العربية من شعر، ونحو، وبلاغة، وكان إضافةً إلى ذلك يقضي معظم أوقاته ملازما للورّاقين لكي يقرأ في كتبهم فاكتسب معظم علمه من ذلك، وقد عُرف عن المتنبي حبه الشديد للعلم والأدب، كما أنّه تمتع منذ صغره بالذكاءِ وقوة الحفظِ، وقد أخبر أحد الرواة قصةً طريفةً عن قوة حفظه في صباه، وهي أنّ أحد الوراقين أخبر أنّ أحدهم جاء ليبيع كتاباً يحوي نحو ثلاثين صفحة، وكان المتنبي عنده حينها، فأخذ الكتاب من الرجل وصار يقلّب صفحاته ويطيل النظر فيها، فقال له الرجل: يا هذا لقد عطلتني عن بيعه، فإن كنت تبغي حفظه في هذه الفترة القصيرة فهذا بعيدٌ عليك، فقال المتنبي: فإن كنت حفظته فما لي عليك؟ قال الرجل: أعطكيه، فقال الوراق: فأمسكت الكتاب أراجع صفحاته والغلام يتلو ما به حتى انتهى إلى آخره، ثم استلبه فجعله في كُمِّه ومضى لشأنه.

وقد أقام المتنبي في البادية أكثر من سنتين عاشر فيهما الأعراب وأفاد منهم، حيث اكتسب الفصاحةَ وتمكّن من اللغة العربية بشكلٍ كبيرٍ، ومن الجدير بالذكر أنّ المتنبي كان كثير الرواية جيد النقد، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطّلعين على غريبها وحوشيِّها، كما أنّه لم يكتفِ بما حصل عليه من علمٍ من مصاحبة الأعراب في البادية، ومن ملازمة الورّاقين، ولا ممّا تعلّمه في كتّاب الكوفة، بل اتصل أيضاً بالعلماء وسافر إليهم وصاحبهم، وتعلّم على أيديهم، ومن هؤلاء العلماء: السكّري، ونفطّويه، وأبي بكر محمد بن دريد، وأبي القاسم عمر بن سيف البغداديّ، وأبي عمران موسى.

رحلات أبي الطيب المتنبي:

رحلة المتنبي إلى بغداد جاء في الصبح المنّبي أنّ أبا الطيب قال: "وردت في صبايا من الكوفة إلى بغداد"، إلّا أنّه لم يحدد تاريخ ذلك الرحيل، كما أنّ المؤرخين لم يذكروا هذا التاريخ أيضا، لكن من الراجح أن يكون قد رحل إليها سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وقد ذكر المعرّي في رسالة الغفران أنّ أبا الطيب كان قد رحل إلى بلاد الشام سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ويقال إنّه كان في الثامنة عشرة من عمره آنذاك، وكان يرنو إلى المجد والعلياء، وهذا ما جعله يقيم في الشام وينظم شعر المديح، وكانت حينها قد قامت في المنطقة حروب عدّة بسبب الصراع على السلطة، انتهت بسيطرة سيف الدولة الحمدانيّ على حلب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وبقاء دمشق تحت سيطرة الإخشيديّين، ممّا دفع المتنبي حينها لمدح بعض الرجال الذين حاربوا في تلك المعارك أمثال: مساور بن محمد الرومي، والحسين ابن عبد الله بن طغج، وطاهر العلوي، إضافةً إلى مدحه لبعض رؤساء العرب الذين التقاهم في طريقه إلى الشام لا سيما حين أقام في منبج، أمثال سعيد عبد الله بن كلاب المنبجي، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المتنبي كان قد سُجن في الشام أيام شبابه– كما سبق الذكر– عند ذكر أسباب تسميته بالمتنبي، وقد أجمع الرُّواة على ذلك، كما أنّ المتنبي نفسّه أخبر عن ذلك في شعره، إلا أنّه كان قد اختلف مع رواة سيرته في أسباب السجن، إضافةً إلى اختلاف الرواة فيما بينهم.

وقد تنقّل المتنبي في بلاد الشام مادحا أمراءها، وكان في مدحه لهم يحثّهم على التصدي لأعداء العرب المتربّصين بالدولة من الخارج والداخل، لا سيّما الروم الذين كانوا يشنّون الغارات الحربية على الجيوش العربية، فأقام المتنبي عند بدر بن عمار والي طبريّا فترةً من الزمن امتدت من سنة ٣٢٨هـ إلى أوائل سنة ٣٣٣هـ، ثم اتّصل بعد ذلك بأبي العشائر الحمدانيّ والي أنطاكية، والذي يتبع للأمير سيف الدولة الحمدانيّ، ومنه اتصل بسيف الدولة

الحمداني، فشعر المتنبي حينها أنّه عثر على ضالّته، إذ وجد في سيف الدولة صفات القائد التي كان يَنشُدها في الحاكم العربيّ، فقد كان سيف الدولة فارساً هُماماً، وكان أكثر بني حمدان فِطنةً وذكاءً، وحباً وإخلاصاً للعرب، وغيرةً على دينهم، فكان يسعى إلى توحيد العرب وإعادة مجدهم السليب وسلطتهم المُنتزعة، وكان أثناء ذلك يتصدّى لهجمات الروم المتكررة على العرب، فوضع المتنبي آماله في استعادة عزّة العرب بين يديه، ونشأت بين الشاعر والأمير علاقة ودٍ ومحبةٍ قلّ مثيلها، فعاش المتنبي في كنف سيف الدولة أزهى أيام حياته، ونظم فيه الشعر الذي خلّد ذكره على مر العصور، وقد أقام المتنبي عند سيف الدولة تسع سنين انقطع فيها لمدحه، وكان أول ما قاله في مدحه في شهر جمادى الأولى سنة ٣٧هـ، حيث مدحه بقصيدةٍ ميميةٍ مطلعها:

وَفاؤكُما كالرَّبْع أشْجاهُ طاسمه بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ

وكانت آخر مرةٍ أنشده مادحا في سنة ٣٤٥هـ، في قصيدةٍ ميميةٍ مطلعها:

عُقْبَى اليَمينِ على عُقبَى الوَغَى ندمُ ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ القَسَمُ

كما أنشده أيضا في نفس العام مودّعاً إيّاه في قصيدةٍ استهلّها قائلاً:

أيَا رَامِيا يُصْمي فُؤادَ مَرَامِهِ تُرَبّي عِداهُ رِيشَهَا لسِهامِهِ

كانت الفترة التي مكثها المتنبي إلى جانب سيف الدولة أكثر فترات حياته عطاءً، فقد نظم في سيف الدولة أكثر من ثمانين قصيدةٍ ومقطوعةٍ، كانت من أجود وأروع شعره، بل تستحق أن يقال عنها إنّها من أجمل ما نظم العرب، وقد تنّوع شعر أبي الطيب في تلك الفترة مع تنوع أحداث حياة سيف الدولة، فقد كان شعره خلال تلك السنوات يدور في فلَكه رغم تنوّع فنونه، فحين كان الأمير يحارب كان المتنبي يمدحه ويصف بطولاته في المعارك سواء كان منتصرا أم مهزوما.

وحين كانت تثور عليه الرّعية ويعيدها إلى طاعته بحنكته، كان المتنبي يمدحه معجبا بأُسلوب تعامله مع رعيته، بالإضافة إلى ما كان ينظمه من رثاء عند وفاة أحد خاصته، ولا يخلو الأمر من أشعار عتاب واستعطاف كان ينظمهما حين يشي بينه وبين الأمير الوشاة ليعيد العلاقة بينهما إلى صفوها، ولم يتورّع المتنبي عن هجاء حسَّاده وخصومه عند الحاجة، وكان هذا إلى جانب اهتمامه في وصف جهاد المسلمين ضد الروم، حيث أبدع في هذا الفن القديم ونّماه وطوّره، ولم يدُم للمتنبي نعيم الود بينه وبين سيف الدولة، فقد أوغر الحُسّاد والوشاة صدر الأمير على الشاعر، فكان يدافع عن نفسه بالهجوم تارةً كقوله في لاميته:

أفي كلّ يوْمٍ تحتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ ضَعيفٌ يُقاويني قَصِيرٌ يُطـــــاوِلُ
لِساني بنُطْقي صامِتٌ عنهُ عادِلٌ وَقَلبي بصَمتي ضاحِكٌ منهُ هازِلُ

وبالاستعطاف تارةً أخرى كقوله في داليته الشهيرة:

أزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بكَبتِهِمْ فأنتَ الذي صَيّرْتَهُمْ لِيَ حُسّدَا
إذا شَدّ زَنْدي حُسنُ رَأيكَ فيهِمُ ضرَبْتُ بسَيفٍ يَقطَعُ الهَام مُغمَدَا

وبالافتخار بنفسه مرات عدة كقوله:

وَمَا الدّهْرُ إلاّ مِـنْ رُواةِ قَصائِدي إذا قُلتُ شِعرا أصْبَحَ الدّهرُ مُنْشِدَا
فَسَارَ بهِ مَـــنْ لا يَسيرُ مُشَمِّرا وَغَنّـــــى بهِ مَنْ لا يُغَنّي مُغَرِّدَا
أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعرا فإنّـــمَا بشِعري أتَاكَ المادِحـــــونَ مُرَدَّدَا
وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني أنَا الطّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصّدَى

وكان افتخاره بنفسه وازدراؤه لخصومه يزيدهم بغضا به وحسدا له، فيزيدون كيّدا ووشايةً للإيقاع بينه وبين الأمير، إلى أن نجحت مساعيهم في ذلك مرّة فغضب منه فيها سيف الدولة وجافاه، فأنشد المتنبي قصيدة يعاتبه بها وكان مطلعها:

وَاحَرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَقلبي عِندَهُ سَقَمُ

ثم ندم واعتذر منه بقصيدة أخرى قال في مقدمتها:

ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا فَداهُ الوَرَى أمضَى السّيُوفِ مَضَارِبَا

إلى قوله:

وَإنْ كانَ ذَنْبي كلَّ ذَنْبٍ فإنّهُ مَحا الذّنْبَ كلَّ المَحوِ مَن جاءَ تائِبَا

فعفا عنه الأمير، وهدأت الأحوال بينه وبين خصومه فترةً من الزمن ليست بطويلةٍ ما لبث أن عاد بينهما بعدها الكَدَر من جديد، لا سيما بعد أن تعرّض المتنبي للإهانة في مجلس سيف الدولة من النحوي ابن خالوّيه أثناء مناظرةٍ بينهما، حيث شج الأول رأس المتنبّي بمفتاح كان في يده أثناءها، فخرج المتنبي من مجلس الأمير غاضبا يجر أذيال الخيبة، وضاق به المقام في حلب، فعزم على الرحيل إلى مملكة الإخشيديين.

رحلة المتنبي إلى مصر ولقائه بكافور

غادر أبو الطيب حلب سنة ٣٤٦هـ وهو كاره لذلك، فاتّجه في البداية إلى دمشق، ثم شاءت الأقدار أن يذهب إلى مصر حيث استدعاه كافور الإخشيدي، وحين وصل إلى مصر كان مجروح الفؤاد، مكسور الخاطر، فأقام إلى جوار كافور خمس سنواتٍ مدحه خلالها بعدة قصائد ليس حباً وإعجاباً، إنما أملاً في تحقيق ما كان يصبو إليه من رفعة وعُلّو شأن، وكان كافور يعرف ذلك جيداً ويعرف أنّ المتنبي لم يَكنْ يُضمر له المحبة والود، فخلى به ولم يحقق له شيئاً من أمانيه، بل ضيّق عليه وعاداهُ، وزاده فوق همّه همّاً، فكَره الشاعر الإقامة في مصر، وبعد أنّ مدح كافور عاد وهجاه، وقد سميت قصائده في مدح كافور وهجائه في تلك الفترة بالكافوريّات، وقد كان لمحنة المتنبي ومعاناته أثناء وجوده في مصر أكبر الأثر في شعره، حيث كان مختلفاً عن كل شعره السابق، إذ اتّسم شعره في تلك السنوات بمهارات عديدةٍ، وقد وضع فيه خلاصة تجارب حياته كلّها.

رحلة المتنبي للقاء عضد الدولة وابن العميد:

توجّه المتنبي إلى العراق بعد خيبة أمله عند كافور حيث كان يتنقل بين الكوفة وبغداد، ثم توجه إلى أرجان قاصداً أبي الفضل ابن العميد وزير عضد الدولة، فمكث عنده فترةً من الزمن مدحه فيها بمجموعةٍ من القصائد سميت بالعميديات، وأثناء وجوده في أرجان أرسل عضد الدولة بن بوّيه يدعوه للقدوم إليه، فلّبى المتنبي الدعوة، ووجد عند السلّطان الحفاوة والتكريم، فعادت للشاعر حريّته التي افتقدها في مصر، وملكته الشعرية وآماله وطموحاته، ومكث في ضيافة عضد الدولة ثلاثة أشهرٍ مدحه خلالها في ست قصائد غاية في الروعةِ سميت بالعضديات، لكن المتنبي رغب بالرحيل والعودة إلى العراق لسببٍ غير معروف، وعلى إثر ذلك ودّع ابن بويه بالقصيدة التي استهلها قائلاً:

فِدًى لكَ مَن يُقَصّرُ عَن مَداكا فَلا مَلِكٌ إذَنْ إلاّ فَدَاكَا

وفاة أبي الطيب المتنبي:

أفِلت شمس المتنبي وهو في قمة عطائه، فقد مات في الخمسين من عمره مقتولاً على يد شخصٍ يسمى فاتك الأسدي، وهو خال ضبّة الأسدي الذي هجاه المتنبّي في إحدى قصائده، وقد حدث ذلك في طريق عودته من شيراز إلى بغداد، إذ اعترض فاتك طريقه ومعه جماعةً من أصحابه في منطقةٍ واقعة غرب بغداد تُسمى النعمانية، فيما لم يكن مع المتنبي عدداً مكافئاً لرجال فاتك، فتقاتل الجمعان، فقُتل مُحسد ابن المتنبي، وهمّ المتنبي حينها بالهروب، إلّا أن غلامه استوقفه قائلاً: ألست القائل الخيلُ والليلُ والبيداءُ تَعرفني؟ فردّ عليه المتنبي قائلاً: قتلتني قتلك الله، ورجع وقاتل حتى قُتل، وتجدر الإشارة إلى وجود روايات متعددة حول مقتل المتنبي ومَن هو

وراء ذلك، وما الأسباب التي أدّت إلى مقتله، ومن الذي دلّ أعداءه على مكانه.

مميزات شعر المتنبي:

اتّصف أبو الطيب المتنبي بكبريائه، وشجاعته، وطموحه، هذا فضلاً عن اعتزازه بعروبته في أبياته الشعرية، والافتخار بنفسه، وتُعتبر أفضل أشعاره تلك التي تحدّثت عن الحكمة، وفلسفة الحياة، ووصف المعارك، إذ تميّزت بالصياغة القوية والمحكمة، ويجدر بالذكر أنَّ المتنبي مفخرة للأدب العربي؛ فهو شاعر غزير الإنتاج الشعريّ، وصاحب الأمثال السائرة، والحكم البليغة، والمعاني المبتكرة، ولقد ساعده التنقّل بين الأمراء والملوك على تطوير موهبته الشعرية، حيث مدحهم في معظم أشعاره، ولم يحظَ شاعرٌ من شعراء العربيّة بمثل ما حظي به أبو الطيّب المتنبّي من مكانةٍ عالية، فقد كان أعجوبةً أعجزت الشعراء من بعده؛ حيثُ بقي شعره إلى الآن يُقرأ كمصدر وحي للكثير من الأدباء والشُّعراء، كما تُرى فيه مظاهر القوّة والشاعرية القائمتين على التجربة الصادقة والحس، وقد أبدع المتنبّي في صياغة أبياته صياغةً تأسرُ الألباب وتشغل القلوب، فقد كان شاعراً ينتمي لشعراءِ المعاني؛ حيثُ كان موفّقا بين الشعر والحكمة، وقد أخرجَ الشّعر عن قيوده وحدوده وابتكرَ الطريقة الإبداعيّة فيه، ويُمثّل شعرُ المتنبّي صورةً حقيقةً وصادقةً عن حياته وأحداثها من اضطرابات وثوراتٍ، كما عرضَ ما كان في عصره من آراءٍ ومذاهب، بالإضافة إلى تمثيل شعره لحياته المُضطّربة؛ ففيه عبّر عن عقله وشجاعته، وطموحه وعلمه، ورضاه وسخطه، وتمثّلت القوة في شعره بقوّة ألفاظه وعباراته ومعانيه.

فلسفة أبي الطيب المتنبي في الحياة:

لم يتّخذ المتنبي الفلسفة علماً يدرسه أو يختص به، ولم يكن ينتمي إلى عالم الفلاسفة، إنّما جاءت فلسفته نابعةً من تأملاته في الحياة، ومن تجاربه الشخصية التي اكتسبها من أسفاره، ومن ثقافته الواسعة، غير أنّ بعض النُقّاد يرون أنّ المتنبي تأثر بالفلسفة اليونانية، وأنّه اقتبس فلسفته من فلاسفة اليونان أمثال أرسطو، وقد اتّسمت فلسفة المتنبي بالقوة، فتجلّت هذه القوة في شعره في موضوعاتٍ مختلفة أهمها:

-ذمّ الدهر والناس:

نظر المتنبي للدّهر والنّاس نظرة المتشائم، فكان يرى أنّ الدّهر يقف حائلاً بينه وبين تحقيق آماله وطموحاته، وأنّه لا وجود لنعيمٌ دائمٌ ولا شقاءٌ دائمٌ، وأنّ الحياة يسرٌ وعسر، فقال معبراً عن ذلك:

صَحِبَ الناسُ قَبلَنا ذا الزَمانا وَعَناهُمْ مِن شَأنِهِ ما عَنانا

ورأى أنّ الناس سبب شقائه، لا سيما الملوك والأمراء الذين وعدوه وأخلفوا في وعودهم، ورجاهم وخيبوا رجاءه فقال ذاما للناس:

ودَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغار وإنْ كانتْ لهمْ جُثَثٌ ضِخامُ

أرانِبُ غَيرَ أنّهُمُ مُلُوكٌ مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ

أما عن فلسفة الموت والحياة، فقد أقرَّ المتنبي أنّ الموت قدرٌ محتومٌ لا بدّ أن يطال كل إنسانٍ، وأنّه لا محالة آتٍ، كما فضّله على حياة الذل والمهانةِ، ورأى أنّ على الإنسان أن يعيش حياته عزيزاً قويا طموحا ساعيا نحو الرفعة والسّمو، وأنْ يحارب ويناضل في سبيل ذلك، وقد عاش المتنبي حياته كلها في ظلّ تلك الفلسفة، فظلّ يصارع ويقاتل في سبيل تحقيق ما كان يصبو إليه من المجدِ والعلياء، ومن الأمثلة على تلك الفلسفة قوله:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ فلا تَقْنع بما دونَ النجومِ

وقال مؤكدا هذه الفلسفة في نونيته:

غيرَ أنّ الفتى يُلاقي المَنايا كالحاتٍ ولا يُلاقي الهَوانا

وإذا لم يَكُن من الموتِ بُدٌّ فَمِن العجزِ أن تكونَ جبانا

أما فلسفة العلاقات الاجتماعية، فقد كانت خيبات الأمل التي تلقاها المتنبي في حياته سببا لافتقاده ثقته بالناس، فأوصله ذلك إلى مرحلة لم يعد يرى فيها من أخلاق الناس إلّا أقبحها، فيما رأى أنّ الناس متقلبين لا يثبتون على مواقفهم، ولا يراعون ودا ولا يصونون صديقا، وقد عمّم حكمه هذا على كافة الناس، إذ ظهر هذا المعنى في قوله:

إذا ما النّاسُ جَرّبَهُمْ لَبِيبٌ فإنّي قَدْ أكَلْتُهُمُ وَذاقَا

فَلَمْ أرَ وُدّهُمْ إلاّ خِداعا وَلم أرَ دينَهُمْ إلاّ نِفَاقَا

أما فلسفة الشجاعة والعقل، فرغم إيمان المتنبي بأنّ الشجاعةِ هي أساس العُلّو والمجد، إلا أنّه كان يرى أنّ لا أهمية لها دون عقل، فالعقل في فلسفة المتنبي متمم للشجاعةِ، بل ومقدّم عليها، إذ إنّه يميّز الإنسان عن الحيوان، فقال في هذا المعنى:

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ هُوَ أوّلٌ وَهيَ المَحَلُّ الثّاني

فإذا همَا اجْتَمَعَا لنَفْسٍ حُرّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كلّ مكانِ

الأغراض الشعرية في شعر المتنبي:

تنوّعت الأغراض الشعرية في شعر المتنبي فقد نظم قصائد في المديح، والرثاء، والهجاء، والغزل، والعتاب والشكوى، والفخر، والوصف تفاوتت في عددها، وقد استحوذ المدح على معظم قصائد ديوانه إذ شكلت قصائد المدح أكثر من ثلث الديوان، وفيما يأتي شرحا مفصلاً عن كل غرض من هذه الأغراض:

المديح:

مدح أبو الطيب أكثر من خمسين شخصا كان أكثرهم من الأمراء، والوُلاة، وقادة الجيوش، أمّا بعضهم الآخر فكان من أواسط الناس، لكنّ أكثر

مدائحه كانت لسيف الدولة الحمدانيّ، و بدر بن عمار، وكافور الإخشيدي، وأبي العشائر، وعضد الدولة البويهي، وأبو شجاع فاتك، وقد اتّسمت معاني المدح عند المتنبي بالغزارة والقوة، فهو في مديحه يصف ممدوحيه جميعهم نفس الصفات، كالكرم والشجاعة والفراسة والعلم وغير ذلك من صفات العرب الأصيلة، كما تلمّس فيهم صورة الشخصية المثالية التي أحسّها في كيانه وتمنى وجودها في إنسانٍ في هذه الحياة، ولم يتخلّ المتنبي في مدائحه عن شخصيته ولا عن اعتزازه بنفسه، كما اتّسمت مدائحه أيضاً بالمبالغة وكثرة المحسنات البديعية، ومن الأمثلة على تلك المدائح هذه الأبيات التي قالها مادحا كافور الإخشيدي:

يُدِلّ بمَعنىً وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقد جَمَـــــعَ الرّحْمنُ فيكَ المَعَانِيَا

إذا كَسَبَ النّاسُ المَعَاليَ بالنّدَى فإنّكَ تُعطي في نَداكَ المَعَالِيَا

الهجاء:

لم ينظم المتنبي الكثير من شعر الهجاء، فهو لم يهجُ إلّا ناقما وكارها، ومنه هجاؤه لكافور الإخشيدي لأنّه خيّب أمله ورجاءه، وهجاؤه لابن كَيغَلَغ الذي رامَ المدح فما حصّل إلا الهجاء، حيث طلب من المتنبي أن يمدحه، وعندما رفض ذلك حبسه ومنعه من الرحيل فهجاه انتقاما لكرامته، وهجاؤه لضبّة من أجل إرضاء أصدقائه، وقد جاء هجاء المتنبي لاذعا شنيعا موجعا ومحققا لهدفه، كسخريته من كافور حينما قال:

وَتُعجِبُني رِجْلاكَ في النّعلِ، إنّني رَأيتُكَ ذا نَعْلٍ إذا كنتَ حَافِيَا

وَإنّكَ لا تَدْري أَلَوْنُكَ أسْوَدٌ من الجهلِ أمْ قد صارَ أبيضَ صافِيَا

هذا ولم يقتصر هجاء المتنبي على الأشخاص إنما تعدّاه إلى هجاء الزمان والناس، ومنه ما قال فيهما:

ما كُنتُ أحْسَبُني أحْيَا إلى زَمَنٍ يُسِيءُ بي فيهِ عَبْدٌ وَهْوَ مَحْمُودُ

ولا تَوَهّمْتُ أنّ النّاسَ قَدْ فُقِدوا وَأنّ مِثْلَ أبي البَيْضاءِ مَوْجودُ

الفخر:

امتلأ شعر أبي الطيب بفخره بذاته، وشاع في جميع أغراض شعره، فلا يكاد يجد القارئ قصيدة من قصائده تخلو من ذلك، فهو يفتخر بنفسه في المدح، وفي الهجاء، وحتى في الرثاء، وقد وصل هذا الفخر حد الغرور، ويعود السبب لافتخار المتنبي بنفسه لشعوره بتفوقه على الناس، وذكائه وطموحه وشجاعته وصبره، بالإضافةً إلى ظروف حياته القاسية، وكثرة أعدائه ومنافسيه في مجالس الأمراء اللذين دفعاه للافتخار بنفسه، وما يأتي مثال على ذلك فقد قال مفتخرًا بطموحه وقوة إرادته:

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أنْ يُبَلّغَني مَا لَيسَ يبْلُغُهُ من نَفسِهِ الزّمَنُ

وقال مفتخرا بشجاعته وفروسيته:

لأترُكَنّ وُجوهَ الخَيْلِ ساهِمَةً وَالحرْبُ أقوَمُ مِن ساقٍ على قَدَمِ

والطّعْنُ يُحرِقُها وَالزّجرُ يُقلِقُها حتى كأنّ بها ضَرْبا مِنَ اللَّمَمِ

أمّا في تحمّله لنوائب الحياة وصموده أمام أحداث الدهر فقال:

ألدّهْرُ يَعْجَبُ من حَمْلي نَوَائِبَهُ وَصَبرِ نَفْسِي على أحْداثِهِ الحُطُمِ

وقال مفتخرا بكرامته و رفضه للضيم:

وَآنَفُ مِنْ أخي لأبي وَأُمّي إذا مَا لم أجِدْهُ مِنَ الكِرامِ

أما شاعريته وعبقريته فقد قال مفتخرا بهما:

وَمَا الدّهْرُ إلاّ مِنْ رُواةِ قَصائِدي إذا قُلتُ شِعرا أصْبَحَ الدّهرُ مُنشِدَا

الرثاء:

رثا المتنبي عددا من الأشخاص الذين كان منهم جدّته، وخاصة سيف الدولة، وأبي شجاع فاتك، ومحمد بن اسحق التنوخي، وقد انقسم الرثاء عند المتنبي إلى نوعين؛ نوعٌ مصطنعٌ يخلو من العاطفةِ لا تَفجُّع فيه، وهو النوع الذي نظمه مجاملةً، وفيه ذكرٌ لخصال الميت ومدحٌ لأهله، إضافة إلى

ذكر الحكم في الموت والحياة، وذلك كقوله في مدح أخت سيف الدولة الصغرى:

وَلَذيذُ الحَيَاةِ أنْفَسُ في النّفْسِ :::وَأشهَى من أنْ يُمَلّ وَأحْلَى
وَإذا الشّيخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـلّ ::: حَيَاةً وَإنّمَا الضّعْفَ مَلاّ
آلَةُ العَيشِ صِحّةٌ وَشَبَابٌ :: فإذا وَلّيَا عَنِ المَرْءِ وَلّى

ونوعٌ اتّسم بصدق العاطفة وشدة التأثر، وفيه يتفجع ويتألم على فقد الميت، كما في رثائه لجدّته، ورثائه لأخت سيف الدولة الكبرى، حيث قال:

طَوَى الجَزِيرَةَ حتى جاءَني خَبَرٌ فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلـــــى الكَذِبِ
حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أمَلاً شَرِقْتُ بالدّمعِ حتى كادَ يشرَقُ بي

الغزل:

يعتبر الغزل ثانويا في شعر المتنبي، فهو لم يعتنِ به كثيرا وذلك لأنّه لم يكُن مولعاً بالنساء، ولم يكن محباً لدواعي اللهو والعبث؛ لانشغاله في طلب المجد والعلياء، وما نظم هذا الشاعر بعض ما نظمه في الغزل إلّا وفاءً للفن، حيث كان ينهج نهج الشعراء السابقين في بناء القصيدة إذ كانوا يستهلونها بالغزل، كما أنّه في بعض القصائد أهمل ذلك الجانب فاستهلها بالحكمة أو بالمدح، لهذا فقد اتسم غزله بالضعف، وجاء مليئاً بمعاني البطولة، ومن الجدير بالذكر أنّ المتنبي لم يرتبط بامرأةٍ معينةٍ ولم تشغفه إحداهن حباً، كما أنّه لم يخصص قصيدةً مستقلةً لغرض غزلي كغيره من شعراء الغزل العذريين أمثال جميل بثينة، والأبيات الآتية تعدّ مثالاً على شعر الغزل عند المتنبي:

كمْ قَتيلٍ كمَا قُتِلْتُ شَهيدِ لِبَياضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدودِ
وَعُيُونِ المَهَا وَلا كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بالمُتَيَّمِ المَعْمُودِ

الوصف:

أجاد المتنبي وأبدع في شعر الوصف، لا سيّما في وصفه لمعارك سيف الدولة الحمدانيّ ضدّ الروم في قصائدٍ تُعد ملحميات، فقد صور شاعرنا هذه المعارك بدقةٍ كبيرةٍ حتى يخال المتلقي أنّه في ساحة المعركة مع الفرسان، إضافة إلى وصف المعارك فقد وصف المتنبي الطبيعة أيضاً لكنه لم يكثر من ذلك، فوصف الأسد، وبحيرة طبريّا، وشُعب بوّان، وجبال لبنان، كما وصف المتنبي أيضاً نفسه وطموحه وعلوّ همته، ووصف أخلاق الناس وطبائعهم، وقد اتّسمت معاني الوصف عند المتنبي بالقوة والدقة وروعة التصوير، ومن الأمثلة على دقة وصف المعارك عنده وصفه لجيش الروم في الأبيات الآتية:

أتَوْكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كَأَنَّما سَرَوْا بِجِيَادٍ ما لَهُنّ قَوَائِمُ

إذا بَرَقُوا لم تعْرفِ البِيض منهُمُ ثِيابُهُمُ من مِثْلِها وَالعَمَائِمُ

خميسٌ بشرْقِ الأرْضِ وَالغرْبِ زَحْفُهُ وَفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ منهُ زَمَازِمُ

الحكمة:

برع المتنبي في شعر الحكمة، وأصبحت أبياته في الحكمة تسري مسرى المثل بين الناس، وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، وقد جاءت الحكمة منبثةً في معظم قصائده، فوردت في قصائد المدح والرثاء والغزل والهجاء وغير ذلك من الأغراض الشعرية، إذ يفتتح بها القصيدة أو ينشرها بين الأبيات، وقد يختتم بها القصيدة أحياناً، فيما قد يبني قصيدته عليها أحياناً أخرى، وحكم المتنبي هي خلاصة تجاربه الشخصية، وقد اتّسمت معانيها بالقوة والعظمة، فيما ظهر بها التشاؤم في بعض الأحيان، أمّا الموضوعات التي ارتبطت بها الحكمة عند المتنبي فهي موضوعات تمثِّل واقع الحياة مثل؛ العزة والكرامة، والمعاملة، وذم الدهر، وأخلاق الناس وطبائعهم.

الشعر الوجداني:

تجلّى الشعر الوجداني عند المتنبي في قصيدته الميميّة التي نظمها وهو في مصر، حيث كان يائساً محطماً، شاعراً بخيبة الأمل، وبالشوق لصديقه سيف الدولة الحمداني الذي تركه مرغماً، فأقام بقرب كافور الإخشيدي وهو كارهٌ له، وحين مرض ما درى عنه ولا اهتم لأمره، فبثَّ حزنه وألمه في أبيات هذه القصيدة التي وصف فيها الحمى، والتي تُعتبر من أروع قصائده التي نظمها في مصر، وقد عدّها طه حسين من أروع ما قيل في الشعر العربي، وفيها قال:

أقَمْتُ بأرْضِ مِصرَ فَلا وَرَائي تَخُبُّ بيَ الرّكابُ وَلا أمَامي

المرأة في شعر المتنبي:

ذهب الناقد محمود شاكر أبو الفهر إلى أنّ المتنبي كان قد وقع في حب خولة الأخت الكبرى لسيف الدولة الحمدانيّ، إذ استدلّ على ذلك من قصيدته التي رثاها بها وهو في الكوفة بعد أن فارق سيف الدولة، فقارن بين ذلك الرثاء وبين رثائه لأختها الصغرى التي ماتت قبلها بثمان سنين، فوجد أنّ رثاء الشاعر لخولة جاء مختلفاً عن رثائه لأختها كل الاختلاف، فعاطفة الشاعر في رثاء خولة عاطفة صادقةً انسكبت فيها الكلمات انسكاباً فتجلّت فيها مشاعر الحزن والألم والحرقة والشجن الذي ملأ قلبه ووجدانه، ما جعل المتنبي يتخلّى عن صلابته المعتادة، فكشف ذلك الحزن حبه المستور، وفضح ألم الفقد عشقة لخولة.

****

رابعاً: أبو تمـــام

شاعر عربي، ولد في جاسم قرب دمشق، يقال اشتغل في صباه حائكًا في دمشق، ثم انتقل إلى الفسطاط (مصر) واشتغل ساقيا بجامعها، درس الثقافة العربية وشدا الشعر مكتسبا، تنقل بين الشام والجزيرة وأرمينيا وأذربيجان والعراق وخراسان، يمدح الخلفاء والأمراء والقادة الكبار، له ديوان معظمه في المدح ووصف البطولات، اتخذ لنفسه مذهبا خاصا يعتمد على الابتكار في المعاني والصور، ويرى النقاد أنه واحد من أعظم شعراء العروبة، أخرج عدة كتب، جمعت فيها مختاراته من الشعر مثل: "الاختيارات من شعر الشعراء"، و"الاختيار من أشعار القبائل"، و"أشعار الفحول" و"أشعار المحدثين"، وطبع منها "الحماسة" و"الحماسة الصغرى".

مناسبة القصيدة:

كتب أبو تمام هذه القصيدة بعد النصر الذي حققه الخليفة العباسي المعتصم، حينما فتح عمورية مسقط رأس الإمبراطور الروماني (تيوفل)، وكانت هذه المعركة بمثابة رد على اعتداء إمبراطور الروم على بلدة (زبطرة) العربية، التي عاث فيها الروم فسادا وقتلا و تدميرا، وانتقاما لما حل بتلك المرآة العربية حينما اعْتُدى عليها، فهتفت مستنجدة: "وامعتصماه !"، ففي هذه القصيدة نجد أن الشاعر سخر من المنجمين، حينما حذروا المعتصم من فتح عمورية، وأكد الشاعر في هذه الأبيات على أن الحرب وحدها هي سبيل المجد والنصر والحقيقة، هذه القصيدة واحدة من الغُرر اللامعة في جبين الشعر العربي قديمه وحديثه، وسوف تظَل تترنم بها أجيال العرب والمسلمين حتى في أحلكِ لحظات تاريخهم؛ لأنها تُذكرهم بالمجد القديم، وتَستحثهم على أن ينهضوا ويَسموا إلى الأفق السامق، الذي حلَّق فيه المسلمون بقيادة

معتصمهم تحليق النسور، وانقضُّوا منه على أعدائهم، فافترسوهم وأبادوهم، ومزَّقوهم شرَّ مُمزَّقٍ، وجعلوهم عِبرة لمن تُسوِّل له نفسه الخبيثة العدوانَ على بلاد المسلمين.

لكن رَوعة القصيدة الخالدة ليست ترجع فحسبُ إلى موضوعها، وما تُثيره في نفوس العرب والمسلمين جميعًا من معاني المجد ومشاعر العزة، وتَستحثهم إليه من منازل الكرامة –وإنما ترجع أيضًا إلى ما حَوَتْه من كنوز الفن الراقي، أول ما يَلفت انتباهنا في هذه الرائعة الخالدة ما يُسَربِلُها من فخامة الوزن والقافية واللفظ والصورة ... إلخ، فخامة تناسب فخامةَ هذا الفتح المبين، الذي سحَق فيه المسلمون عُلوجَ الشِّرك، فغادروا تسعين ألفًا من هؤلاء الكلاب مطروحةً جثثُهم في وسط النيران التي أكلت بيوتهم، بيوت الرِّجس والعدوان، لا تجد مَن يسأل عنها أو يُبالي بها، فالبحر الذي صُبَّتْ فيه القصيدة من الأبحر الطويلة التي تُهيئ للشاعر الفرصة؛ لأن يهتف ويُجلجل صوته كما يَحلو له الجَلجلة والهُتاف.

ثم تأتي القافية البائية التي لم يتكرَّر فيها لفظ واحد مرتين، لتَقرَعَ الآذان قرعًا، فتَغمُر الجسم والنفس فورةُ الحماسة، ويستيقظ أنبلُ وأكرم وأمجدُ ما في الإنسان، بل إني لأَتخيَّل الشاعر وهو يَنظُم رائعته هذه وقد سَخُنَتْ رأسُه، وأصبح لخياله ألفُ عينٍ وعين يُبصر بها، ويَقتنِص هذه الصور العجيبة التي تُخيِّل لك وأنت تقرأ القصيدة أنك في معرض للفن العظيم تَبْهُر عينَك اللوحاتُ الفاتنة الساحرة، فلا تستطيع – إلا بالمشقة – التركيز على إحداها؛ لأن كلًّا منها يَدعوك في ذات الوقت لتَتملَّاها وأنت متحير بين هذه وذي وتلك، ومَن ذا الذي يقرأ الأبيات الآتية وهو متمالكٌ مشاعرَه؟!

أفكار القصيدة:

الفكرة الأولى: تمجيد القوة، والسخرية من المنجمين –الأبيات من: (١–٤)– وهذه الأبيات تبدأ بالتهكُّم الصاعق على المنجِّمين وتَخرُّصاتهم؛ إذ

حاولوا أن يَثنوا المعتصم بالله عن إنفاذ الجيش للانتقام من عدوان الروم على أطراف الدولة، تحت شُبهة أن النجوم تخبرهم بأن الحملة ستفشل إن خرَجت في ذلك الوقت، والشاعر في أثناء ذلك يَسخَر من النجوم والأبراج وتقسيمات المنجمين لها إلى أَبْرُاج عُليا وغير عليا، يقول:

السَيفُ أَصدَقُ إنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

*السيف أصدق: استعارة مكنية، حذف المشبه به، وهو"الإنسان" وذكر شيئًا من لوازمه وهو "الصدق"، ومعنى البيت: لقد ارجف المنجمون، وخوفوا من الاتجاه نحو عمورية، وتحدثوا عن أحداث جسام ستتمخض عنها الأيام، فماذا كان؟ استمر الزحف يقوده الخليفة، فحقق النصر، وأبطل بسيفه ما ارجفوا به، وأثبت السيف أنه أصدق من كتبهم، وأن حده قد ميز الحق من الباطل المفترى.

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ فى مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

* بيضُ الصَفائِحِ: كناية عن السيوف، وسودُ الصَحائِفِ: كناية عن كلام المنجمين، ومعنى البيت: بياض السيف بدد ظلام الشك، الذي ألقوه على النفوس من خلال ما قرأوه في أوراقهم وكتبهم السود، التي تنقل كما يقولون عن الشهب والنجوم، فما يكون لظلام الشك الذي يتسلل من هذه الصحف أن يثبت أمام لمعان السيوف وبياضه، فكأنه يقول لهم:

أتزعمون أن في تنجيمكم الحدَّ بين الجِد واللعب؟ كلَّا ثم كلَّا، بل الحد بين الجد واللعب هو في حد سيوف الإيمان! أتَزعُمون أن في سواد كتابات صُحفكم جِلاءَ الشك والريب؟ كلَّا ثم كلَّا؛ إذ كيف يكون في ظلمة السواد جلاءٌ من الشك والريبة؟ إنما جلاء الشك والريبة في نور بياض السيوف حين تُنْتَضَى ويُهْوَى بها على رؤوس الكفر والضلال! أتزعمون أن عند شُهبكم العلمَ بما يُخبئه المستقبل؟ كلَّا ثم كلَّا، إنما علمُ ذلك يتجلَّى للعين على لمعِ الحسام إذا حمِي وطيسُ القتال، فهو الذي يقرِّر النصر والهزيمة؛

إذ لا نصرَ لعاجزٍ متخاذل يُنصت إلى أكاذيب الدجَّالين، وإنما النصر من عند الله يَهبه لكلِّ مؤمنٍ شجاع يأخذ عُدته وينطلق في سبيل الله، مقتحمًا الأخطار عاقدًا العزم على النصر أو الاستشهاد، وهكذا...

وَالعِلمُ في شُهُبِ الأَرماحِ لامِعَةً بَينَ الخَميسَينِ لا في السَبعَةِ الشُهُبِ

* شبّه الرماح بالشهب اللامعة التي تظهر في السماء، ومعنى البيت: أن أنباء النصر والهزيمة، تأتي من أسنة الرماح،و تؤدي دورها في المعركة، فهذه الأسنة بلمعانها وحركتها وتأثيرها، هي الشهب التي يجب أن نعتمد إليها، حين نطلب النصر، وليس بالنجوم التي اعتمد المنجمون عليها.

أَينَ الرِوايَةُ بَل أَينَ النُجومُ وَما صاغوهُ مِن زُخرُفٍ فيها وَمِن كَذِبِ

* الاستفهام هنا يفيد التهكم والسخرية، ومعنى البيت: يسخر الشاعر ويستهزأ من المنجمين، ويقول: أين روايتكم عن كتبكم؟ بل أين تلك النجوم التي افتريتم عليها، ونسبتم إليها ما أذعتموه من أكاذيب قدمتموها في عبارات منمقة خداعة.

الفكرة الثانية: عظمة الفتح والفرحة بالنصر، الأبيات من: (٥-٧).

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أَن يُحيطَ بِهِ نَظمٌ مِنَ الشِعرِ أَو نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ

معنى البيت: يعبر الشاعر عن عظمة فتح عمورية ويصفه بفتح الفتوح، ومن عظمة هذا الفتح

يعجز الشعر والنثر عن الوفاء بحقه ووصفه.

فَتحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَماءِ لَهُ وَتَبرُزُ الأَرضُ في أَثوابِها القُشُبِ

* تَفَتَّحُ أَبوابُ السماء له: شبه السماء بصورة "البيت"، فحذف المشبه به وذكر شيئًا من لوازمه: "أبواب"، على سبيل الاستعارة المكنية، وَتَبرُزُ الأَرضُ في أَثوابِها القُشُبِ: شبه الشاعر الأرض بإنسان يرتدي ثوبًا جديدًا، فحذف المشبه به، وهو: "الإنسان"، وذكر شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، ومعنى البيت: هذا الفتح العظيم تستبشر به السماء فتتلقاه متفتحة

الأبواب، وتبتهج به الأرض، فتبدو في زينتها وجلالها كالإنسان الذي يرتدي أجمل ثيابه، وقد اندفع يَهتِف ممجدًا هذا الفتحَ المبين الذي يُسميه عن جدارة "فتح الفتوح"، الذي اهتزَّ له الكون كله طربًا، فكأنه في يوم عيد، وكيف لا؟ وقد عزَّ به الإسلامُ والمسلمون، وذلَّ به الشركُ والمشركون، وذلك حين سقَطت عمورية التي يصفها الشاعر قائلًا: إنها "شابتْ نواصي الليالي وَهْيَ لَمْ تَشِب"، عمورية التي تأبَّت على مَن حاوَلَ قَبلَ المعتصمِ فَتْحَها من الفاتحين، كما تتأبَّى الحسناء المدلة بجمالها وفِتنتها على الخُطَّاب والعاشقين، احتقارًا لهم وغرورًا بتلك الفتنة الخالدة، عمورية الغادة البكر التي اعتَلَتْ على كرِّ الأزمان عرشَ المجد، فلم تستطع هِمَّةُ النوائب أن ترتقي إليها في عليائها وبهائها، فجاء المعتصم ففعَل ما لم يَفعَله الأولون؛ إذ أذل كبرياءَها، وأَسْلَسَ عِصيانَها!.

يا يَومَ وَقعَةِ عمورية اِنصَرَفَت مِنكَ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحَلَبِ

* مِنكَ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحَلَبِ: شبه تحقيق الأماني بالنصر على الأعداء، بصورة الناقة التي امتلأ ضرعها باللبن، فحذف المشبه به: "الناقة"، وذكر شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، **ومعنى البيت:** يبرز الشاعر فرحته وإعجابه بفتح عمورية، وتحقيق أماني المسلمين، فعادوا فرحين منتصرين، شبه ذلك بالحليب الممزوج بالعسل في ضرع الناقة، وهنا كنايه على حلاوة النصر.

الفكرة الثالثة: تصوير الدمار والحريق الذي أصاب عمورية: الأبيات من: (٨-١٠)

لَقَد تَرَكتَ أَميرَ المُؤمِنينَ بِها لِلنارِ يَومًا ذَليلَ الصَخرِ وَالخَشَبِ

***معنى البيت:** يصف الشاعر الدمار الذي أصاب مدينة عمورية بعد أن فتحها المعتصم، حيث يقول: فقد أوقعت بها وغادرتها مهدمة، فر عنها

أهلها، فاستوحشت ساحتها وميادينها، وتأكلها النيران، فذلت أمام سطوتها صلابة الصخر والخشب.

غادَرتَ فيها بَهيمَ اللَيلِ وَهوَ ضُحىً يَشُلُّهُ وَسطَها صُبحٌ مِنَ اللَهَبِ

* وهو ضحى: صور الليل قد ارتدى باهر الضوء بصورة الضحى، **ومعنى البيت:** يتابع الشاعر وصف الدمار الذي حلّ بمدينة عمورية، فننشر في ظلام ليلها صبحا من اللهب، فإذا الليل ضحى، كأن الشمس لم تغب، أو كأن الليل ضاق بثيابه، السود فنزعها، وهنا ينطلق الشاعر، فيَرسُم في لوحات أخَّاذة نابضة الألوان والخطوط – ألسنةَ اللهب، وقد أحالتْ ليلها ضياءً، فيَخال الرائي أن الشمس لا تزال بازغةً في الأُفق، ويشاهد على ضوئها جثثَ تسعين ألفًا من جنود الأعداء وقادتهم.

رمى بك الله برجيها فهدَّمها ولو رمى بك غير الله لم تصبِ

معنى البيت: تحقق النصر بإرادة الله عز وجل، واستطعت تدمير دولة الكفر؛ لأنك كنت مع الله عز وجل، ولو اعتمد على غير الله لما تحقق هذا النصر المبين.

الفكرة الرابعة: الإشادة بالخليفة المعتصم الأبيات من: (١١-١٣)

تَدبيرُ مُعتَصِمٍ بِاللَـهِ مُنتَقِمٍ لِلَّـهِ مُرتَقِبٍ في اللَـهِ مُرتَغِبِ

معنى البيت: يصف الشاعر المعتصم بأنه منتقم أي أنه ينتقم، ويأخذ ثأر المسلمين، وأنه مرتقب أي منتظر للنصر، مرتغب أى أنه راغب في رضا الله وجزائه، ولا أحد يقرأ هذا البيت الأخير مرة، إلا ويخيَّل أبا تمام يجأَر بأعلى صوته مِن فرط حماسته وإعجابه بهذا النصر العظيم، الذي وفَّق الله إليه أميرَ المؤمنين المعتصم بالله، وهو يَملأ فمه بهذه التقسيمات الموسيقية المدوية: "معتصم بالله، منتقم لله، مُرتغب في الله"، (وقد تكون هكذا: "بالله منتقم، لله مرتغب، في الله مرتقب"، وكلا التقسيمين أَحلى من الآخر، وقد

أخذت الأرض والسماوات جلجلة اسم الذات الإلهية التي منها استمداد النصر وإليها الملاذ.

لَم يَغزُ قَومًا وَلَم يَنهَض إِلى بَلَدٍ إِلا تَقَدَّمَهُ جَيشٌ مِنَ الرُعَبِ

معنى البيت: يصف شجاعة المعتصم بأنه كان دائم الغزو والحروب، يقود جيشا ضخما يبث الرعب في نفوس الأعداء، والقصيدة كما يقال: هي في مدحِ المعتصم، ولكن انظر كيف يكون المديح، إنه ليس مديح النفاق والكذب، بل مديح يعرف حدوده، فنُعجَب نحن به مِن ثَمَّةَ إعجابًا لا يَعرِفُ الحدودَ.

خَليفَةَ اللَهِ جازى اللَهُ سَعيَكَ عَن جُرثومَةِ الدينِ وَالإِسلامِ وَالحَسَبِ

معنى البيت: يدعو الشاعر للخليفة بالخير؛ لأنه بالفتح ينشر الإسلام ويعلي من قوته شأنه، وفضلًا عن هذه الفخامة التي تُسربل القصيدة، ثَمَّةَ الوحدة الفكرية والنفسية التي تشد أبياتها كلها بآصرةٍ وثيقة، فتبدو للعين بناءً متينًا صُلبًا راسخًا، فالأبيات لا تعالج موضوعًا آخر غير هذا الفتح المجيد الذي تَمَّ على يد البطل الصِّنديد الخليفة المعتصم بالله الذي استحقَّ بحقٍّ أن يدعوَ له شاعرنا المُفلق.

إِنْ كان بين صُروفِ الدَّهرِ مِن رَحِمٍ مَوصولةٍ أو ذِمامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ
فبَيْنَ أيَّامِك اللاتي نُصِرْتَ بِهـا وبَيْنَ أيَّامِ بـــــدرٍ أقرَبُ النَّسَبِ

فإننا لا نَملِك إلا الإعجاب بهذه البصيرة التمَّاميَّة التي التَقَطتْ خيط هذا النَّسَب الكريم العظيم، أتدري ماذا يقول الله في قرآنه المجيد عن الانتصار الساحق الذي أحرزه الرسول والمسلمون في بدر الكبرى؟ إنه سبحانه يقول: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧]، فقارِن بين قول الحق هنا سبحانه وبين بيتي أبي تمام السابقين، تجد المعنى واحدًا؛ لأن أبا تمام قد استلَهم الآية الكريمة.

أَبْقَتْ بَني الأصْفَرِ المِمْراضِ كاسْمِهِمُ صُفْرَ الوجُوهِ وجلَّتْ أَوْجُهُ العَرَبِ

معنى البيت: أن هذا النصر العظيم الذى أحرزه الخليفة المعتصم بالله، قد أذل الروم–بنو الأصفر– وجعلهم مرضى، صفر الوجوه كاسمهم، وعزَّ به العرب، فصارت وجوههم مشرقة مجلوة.

والقصيدة كما نرى وَحدةٌ واحدة في موضوعها وجوِّها النفسي، بما فيها مِن تهكُّمٍ واخزٍ وشماتة مُحرقة وفرحة طاغية، حتى إن الشاعر ليتلاعب في وسط هذه البهجة الغامرة باللغة تلاعبًا، وهو تلاعُبٌ يَعكِس ما كان يُحِسُّه الشاعر والأمة الإسلامية آنئذٍ من مشاعر الابتهاج والعزة والفخار، وحتى إن خياله ليَسُحُّ عليه بالصور المدهشة التي تدل على فحولة وأصالة واقتدار، فإذا كان التلاعب بالمحسنات البديعية مذمومًا في بعض المواقف لما فيه من تكلُّفٍ، فإن بديع أبي تمام هنا هو البديع بعينه، فالطِّباقات والتوريات والجناسات هنا، ليست حِيَلًا بهلوانية، بل زخارف مُوفقة في هذا العيد السعيد، وهي زخارف أتى بها الشاعر للزينة ولمعنى آخر غير الزينة، هو التهكُّم على جهل هؤلاء المنجِّمين وادعائهم وكذبهم.

****

المبحث الثاني
دراســـــات أدبيـــــّة

حول الأدب الأندلسي

الفتح العربي:

كان الفاتحون لإسبانيا من العرب لا يعرفون من الثقافة العربية إلا القرآن الكريم وعلومه، والشعر الغنائي المشرقي الذي كان ذائعا أواخر القرن الهجري، وكذلك كان شعر هؤلاء الفاتحين لا يخرج عن أن يكون فخراً بالأصل، أو تغنياً بالشجاعة في الحروب، أو حنيناً إلى الوطن الأم، أو بكاء على الشهداء في الفتوح، ولم يبق لنا من شعر هذه الفترة إلا أخباره ووصفه. وكان لانتشار الإسلام وحرص المشرق على سلامته في تلك البلاد النائية، أن رحل كثير من علماء الدين بعلمهم إلى إسبانيا، فنمت الدراسات الدينية وانتعشت، وتبنى الأمويون في الأندلس، لأسباب سياسية مذهب مالك بن أنس الذي نشره الأوزاعي وقامت مدرسة فقهية نشرت «الموطأ» لمالك. ويذكر منهم ابن حزم الأندلسي في دفاعه عن الأندلس: عيسى بن دينار (٨٢٧)، وابن حبيب (٨٥٢)، والعتبي (٨٦٩) وابن مزين (٨٧٢) والقطاني (٨٨٢)، وقد تابع هذه المدرسة وسار على نهجها، تلاميذها: ابن لبانة (٩٢٦)، وابن عيمان (٩٤١)، وابن اصبع (٩٥١) وأحمد بن سعيد (٩٦١) وأهمهم ابن عبد البر (١٠٧٠)، وحاول «بقي بن مخلد» (٨٨١) عبثاً عند عودته من المشرق، أن يدخل مذهب الشافعية. ويعد ابن حزم تفسير ابن مخلد أفضل من تفسير الطبري. ولكن مذهب الظاهرية أدخله ابن قاسم، وقواه المنذر بن سعيد البلوطي، قبل أن يشهره ابن حزم، الذي يعد العلم

الأكبر في كل نواحي التأليف الأدبي، في النصف الأول من القرن ١١ والذي يعد كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل المعروف بمجرد «الفصل» أكبر مصدر لمعرفة الفكر الديني في الإسلام، وغيره من الأديان المعروفة إذ ذاك، وعرف الأندلسيون مذهب المعتزلة وعرفوا الفلسفة، تدل على ذلك كتب ابن مرة (٩٣١) ومدرسته، وذاعت علوم اللغة ولكن وفود «أبي علي القالي» (٩٦٧) من العراق أنعش هذه الدراسات وكتابه «الأمالي» صورة لدروسه في جامع قرطبة، كما ألف كتاب «البارع» وكتاب «النوادر» وكان من معاصريه: الرياحي (٩٦٨) وابن عاصم (٩٩٢) وابن القوطية الذي درس النحو، وألف ابن سيده (١٠٦٦) كتابه الأشهر «المخصص». وألف الأندلسيون في التاريخ خالطين بين التاريخ والأساطير أول الأمر، كما فعل ابن حبيب. ثم ألفوا حوليات على نسق كتاب الطبري الذي أكمله ابن سعد (٩٨٠) بحوليات حديثة.

التاريخ:

ولكن أكثرهم كان يهتم بتاريخ إسبانيا، ويتبع التسلسل حسب الملوك والأمراء. وذاعت أيضاً كتب التراجم: تراجم للقضاة والأطباء والكتاب. وأهم نوع كان الذي يؤرخ منذ الفتح إلى عصر المؤلف، مثلما نجد عند الرازي (٩٥٥)، وابنه عيسى، الذي نقل عنه ابن القوطية في «أخبار مجموعة»، كما نقل عنه ابن حيان في كتاب المقتبس من أنباء الأندلس المعروف بمجرد «المقتبس»، وأهم مؤلف تاريخي في هذه الفترة هو كتاب «طبقات الأمم» لسعيد الطليطلي (١٠٦٩) الذي ترجم فيه لليونان والرومان أيضاً.

الجغرافيا:

وأهم من ألفوا في الجغرافيا إلى جانب الرازي – الذي وصف إسبانيا وصفاً بارعاً (عثر على مخطوطه أخيراً) – هو أبو عبيد البكري (١٠٩٤). وفي هذا العصر، ازدهر التأليف في الرياضة والفلك، وبتأثير العالم مسلمة

المجريطي (١٠٠٧)، وازدهر الطب وعلوم النبات في عهد عبد الرحمن الثالث، ومن هؤلاء المؤلفين – أمثال الزهراوي (١٠١٣) – من عرفته أوروبا في القرون الوسطى، ولقد تأخر ظهور التأليف الأدبي، ويمكن أن نعد «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٩٤٠) أول مؤلف في الأدب الأندلسي، وإن كانت محتوياته مشرقية، ولكن هذا النوع من التأليف لم يذع، ولم يجد له في العصور القريبة منه من يقلده. وجاء قرطبة في إمارة عبد الرحمن الثاني، المغني العراقي «زرياب» (٨٥٧)، فصبغ المجتمع كله بصبغة بغدادية، إذ كانت بغداد المثل المحتذى، وأدخل زرياب في البلاط وفي الحياة العامة تقاليد بغدادية عاشت طويلاً من بعده. ومنذ القرن التاسع، يمكن أن نقول أن العنصر العربي والعنصر الإسباني، الذين عاشا طويلاً يجهل كل منهما الآخر، قد امتزجا أخيراً فأوجدوا الفرصة لأدب عربي جديد كل الجدة، ويتجلى ذلك في شعرهم الجديد: الموشحات.

اللغة في العهدين:

كانت حالة اللغة في عصر الولاة، بين العرب ومستعربي البربر، كما كانت في عهد الأمويين في الشرق، وفي زمن الدولة الأموية الأندلسية كانت تنهج نهج الدولة العباسية وتحاكيها وتنافسها في كل شيء، وفاقتها في البناء، وبلغت حضارتها ورقيها في العلوم والآداب غاية المجد زمن الخليفتين الناصر والمستنصر ابنه، وزمن الحاجب المنصور الذي استبد بأمر الدولة بعدهما، ولما انتشرت الفتن في آخر عهد الأمويين انقسمت البلاد إلى عدة ممالك مستقلة، مدة نصف قرن، فقام في كل صقع منبر وأمير، حتى قال فيها الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتمد فيـــــــها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخًا صورة الأسد

وقال شاعر آخر:

وتفرقوا شيعًا فكل قبيلة منها أمير المؤمنين ومنبر

لم تكن حال الحضارة والعلم والأدب فيها أقل منها زمن الدولة الأموية، إلا أنها تقهقرت عندما صارت الأندلس ولاية تابعة للملوك البربر في مراكش من المرابطين والموحدين، وانتعشت قليلًا في زمن بني الأحمر، آخر دولة إسلامية في الأندلس.

الشعر الأندلسي:

نقل العرب إلى الأندلس أخلاقهم وعاداتهم وأدبهم وشعرهم، فاستخدموا الشعر فيما كانوا يستخدمونه في عصر بني أمية بالمشرق؛ من أنواع الحماسة والحض على الجهاد والدعوة إلى العصبية وإثارة الفتن. ولما خمدت الفتن وقرَّ الملك في بيت عبد الرحمن، هبَّ الشعراء ينحون مناحي الشعر التي فشت في الإسلام، فصار الشعر صناعة فئة من المتأدبين يتكسَّبون به بمدح الخلفاء والأمراء والقواد والانقطاع إليهم، وشجعهم هؤلاء أمويهم وعلويهم وبربرهم ببذل العطاء لهم وتقريب منازلهم منهم. فاتخذوهم بطانة وندماء، وأعوانًا ووزراء، إذ لم تكن صناعة الشعر مزرية بعظماء الناس هناك، بل كانت حلية كل متعلم، فقلما عجز عن قول الشعر إنسان منهم، بل نظمه كثيرون منهم حتى الأميون، ولم يأنف من نظمه الخلفاء والوزراء والأمراء والفقهاء، فأولع به كل الطبقات حتى النساء، ومنهن من بارين الرجال فيه.

ولا نسمع بفقيه أو فيلسوف أو طبيب أو رياضي أو مؤرخ إلا نراه شاعرًا بليغًا له مطوَّلات ومقطَّعات شعرية، في أغراض مختلفة؛ وذلك لجمال أرضهم وبيئتهم وطيب عيشهم وميلهم الفطري إلى الشعر؛ لأن أكثرهم من عناصر عربية.

وإذا لم يشتهر فيهم أمثال بشار وأبي نواس والمتنبي وأبي تمام والبحتري، فذاك لبعدهم عن المشرق مهد العربية وميدان التنافس العام فيها،

ولقد نظم شعراء الأندلس في جميع الأنواع الشعرية والأغراض حتى الخمريات والمجون والموشحات والأزجال، ولكنهم فاقوا العباسيين في وصف مناظر الطبيعة ورثاء الممالك الزائلة. وأشهر هؤلاء أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس، ثم نظموا قواعد العلم شعرًا، وبعض الحوادث التاريخية، وقصروا عن المشاركة في الحِكَم التي تسير سير الأمثال، وكان شعرهم في الغزل غاية في الرقة، والخيال الشعري الجميل مادة معانيهم، وقلما أتوا في شعرهم بقضايا عقلية وأحكام فلسفية.

ولا نعرف إلا القليل عن الشعر الأندلسي في القرون الأولى للفتح، ولضياع المجموعات الأولى من الشعر، مثل كتاب الحدائق لابن فرج الجياني، يصعب علينا درس هذه الفترة. يقال أن سفير عبد الرحمن الثاني، يحيى الغزال قد كتب شعراً ملحمياً مستعملاً الأرجوزة، ويقال أن لتمام بن أمير، ولابن عبد ربه شعراً. ولكن الموشح في القرن ٩ هو الشكل الأندلسي الأول في الشعر، وكان أول أمره مقطعات منوعة القافية، وينتهي بخارجة في لغة رومانسية غير عربية، يمثل ازدواج اللغة في الشعر العربي لأول مرة، كما يمثل ازدواج الذوقين الفنيين، العربي والإسباني، وقد ظل الموشح غنائياً عربياً فصيحاً ولكن تنوعت فيه القافية، وزيدت الخارجة. ولما كان اكتشاف المخطوطات في مجموعات الموشحات يأتي كل يوم بجديد، فإنه من الصعب أن ندرس الموشح درساً كاملاً. وبالرغم من ذيوعها، واستساغة بعض نقاد المشرق لها، فقد ظلت نوعاً ثانوياً لشعبيتها إلى جانب الأشكال العربية القديمة التي تنوعت قليلاً في بلاط خلفاء المغرب. وأهمية الموشحات تزداد عند المستشرقين اليوم، بسبب علاقة الشعر الشعبي الإسباني بأوليات الشعر الأوروبي عند الشعراء الجوالين «التروبادور».

وأهم من أثر في المغرب من شعراء المشرق، هو المتنبي الذي شرح ديوان ثلاثة من أعلامهم: الشنتمري، الأفليلي، وابن سيده. وقد احتذاه في

تنويع وإجادة، شعراء بلاط قرطبة. وظل الشعر الرسمي حتى القرن ١١ مقلداً ثم اتخذ لنفسه شخصية قوية جديدة. ولاشك أن خلفاء بني أمية شجعوا الأدب وعملوا على جمع الكتب: «مكتبة الحكم الثاني»، ولجزيل عطائهم ظهرت طائفة من شعراء البلاط، أهمهم في هذه الفترة: «المصحفي» (٩٨٢). ولكن الشعر الأندلسي الحضري يبدأ بابن دراج القسطلي (١٠٣٠)، في عهد المنصور الذي أحرق مكتبة الحكم، خوفاً على الدين من العلم والفلسفة. ويعد البغدادي والرمادي من شعراء هذا النوع في هذه الفترة.

وتزعم ابن شهيد(١٠٣٥) حركة شعراء من أصل ارستقراطي، قاومت الموشح لشعبيته وتعصبت للشعر الفصيح وللعربية الأصيلة. وتظهر أفكاره تلك في كتابه «التوابع والزوابع». ويعد ابن حزم في تحليله للشعر العذري في «طوق الحمامة» من تلاميذ هذه المدرسة، وإن تكن شاعريته أقل درجة. ولم يؤثر سقوط الخلافة وقيام ملوك الطوائف في الشعر، بل أنه على العكس وصل إلى ذروته، وفي هذا العصر ازدهرت حركة جمع الدواوين والمختارات الشعرية ووصلتنا دراسة أيضاً عن الشعر في القرن الحادي عشر، نشرها المستشرق بيرس أخيراً وعلق عليها بدراسة وافية للشعر في القرن الحادي عشر، وإذا كان كل بلاط تخصص في حماية نوع من المعرفة، فالكل حمى الشعر، وعالج الشعر الكلاسيكي الجديد كل الموضوعات، وإن يكن الوصف، وصف الطبيعة والحيوان والإنسان، أكثر موضوعاته انتشاراً.

وشهر في قرطبة: ابن زيدون (١٠٧٠) الذي تغنى بحبه لولادة بنت المستكفي (١٠٩٥) التي كانت حياتها شعراً وألهمت شعراء إسبانيا، بل شعراء صقلية أيضاً، مثل ابن حمديس (١١٣٢). وفي بلاط المعتصم ظهر الشاعر ابن شرف (١١٣٩) وفي غرناطة شهر أبو إسحق الإلبيري (١٠٦٩)، وابن عبدون (١١٣٤). وفي عصر المرابطين الذي يبدو أنه جمع شمل الدولة الممزقة، خمد الشعر، فقد كان أكثر اهتمامهم بالدين. وفي بلنسية وحدها نجد

الشعر المتحرر الذي شاع أيام ملوك الطوائف، بينما بسط سائر الملوك رعايتهم على شعر مديح تقليدي. وفي بلنسية نجد شعر الطبيعة والغزل عند ابن خفاجة (١١٣٨)، وشعر الطبيعة والخمر عند ابن زقاق (١١٣٥).

أيام الموحدين:

أما أيام الموحدين، فظهر ابن سهل (١٢٥١) والرصافي (١١٧٧). وإلى سقوط غرناطة لم ينبغ إلا لسان الدين بن الخطيب (١٣٧٤). وكان آخرهم ابن زمرك (١٣٩٣) وكلاهما لا يعد من الطبقة الأولى في الشعراء. ولما شعر الأدباء بأفول نجم الشعر في الأندلس أخذوا في جمع تراثه: فابن بسام (١١٤٧) يؤلف «الذخيرة» والفتح بن خاقان يؤلف «قلائد العقيان»، وابن سعيد (١٢٧٤) يستخلص من كتابه «المغرب» «رياض المبرزين» ليؤرخ الشعر في الأندلس. وإلى أن انتهى (الجزر)، وخرج العرب من الأندلس، نجد من يحمل لواء الموشح مثل الأعمى الطليلي (١١٢٦)، وابن بقي (١١٤٥)، ويقود لواء الزجل ويصل به القمم الفنية الرائعة: الشاعر ابن قزمان (١١٥٩).

وقد انتعش الزجل بفضله، وألف فيه كثير من شعراء الفترة الأخيرة: أما النثر، الذي بدأ أندلسيا بابن شهيد وابن حزم، فإنه سرعان ما مال نحو تقليد المشرق، ويدل على ذلك: «سراج الملوك» للطرطوشي (١١٢٦) وموسوعة البلوي (١٢٠٧) وطائفة المقامات التي قلدت الحريري، مثل مقامات الشريشي (١٢٢٢). وشجع الموحدون التأليف الديني والعلمي: ففي العلوم الدينية ألف ابن عاصم التحفة (١٤٢٦)، كما ألف في اللغة البطليوسي (١١٨٥)، ولكن يلاحظ أن فريقاً من العلماء، أمثال ابن مالك (١٢٧٤)، وأبو حيان (١٣٤٤)، آثروا المشرق إذ نزحوا إليه بمؤلفاتهم. وذاعت كتب السيرة بعد القاضي عياض، فقد ألف في السير: ابن بشكوال، والضبي، وابن الأبار، وابن زبير، وألف في التاريخ ابن سعيد المغربي كتابه المعروف «المغرب»، الذي اعتمد

على كثير مما سبق في الميدان. وبرز في الجغرافيا: الإدريسي، وفي تأليف كتب الرحلات: ابن حامد الغرناطي (١١٦٩)، وابن جبير (١٢١٧) والعبدري في القرن ١٣، وازدهرت في القرنين ١٢ و١٣ العلوم، كالرياضة، والفلك، والصيدلة، وعلم النبات، والطب، وقد أثرت العربية في لغة ش إسبانيا، وتغلغلت في لغاتهم الدارجة، وأوجدت لهجات خاصة، لها أدب شعبي خاص، يدرس لأهمية أثره في شعر أوروبا في القرون الوسطى، ولدوره في شعر النهضة.

والشعر الأندلسي له طابع خاص في الخصائص لاسيما في الفنون الشعرية الذي امتاز بالوصف ورثاء الممالك الزائلة والاستنجاد بالرسول وكبار الصحابة ونظم العلوم والفنون والشعر الفلسفي، كما امتاز معانيه وأفكاره بالوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد والتلميح إلى الوقائع التاريخية ولاسيما في رثاء الممالك الزائلة، أما ألفاظه وعباراته فقد كانت واضحة وسهلة والرقة والعذوبة وتجنب الغريب من الألفاظ واهتم بالصنعة اللفظية، وقد انتزع تصويره وخياله من البيئة الأندلسية الغنية بمظاهر الجمال الطبيعية وتزاحم الصور، أمابالنسبة للأوزان والقوافي فقد التزموا بوحدة الأوزان والقوافي بدايةً، ثم ابتدعواأوزانا جديدة لانتشار الغناء في مجالسهم ونوعوا في القوافي ومن ذلك الموشحات، من أشهر شعراء العصر الأندلسي هم أحمد عبد ربه، ابن برد، ابن هانئ الأندلسي وابن سهل الأندلسي الذي قال قصيدة المشهورة بالرداء الأخضر:

الأرض قد لبست رداءًأخضرا والطل ينثر في رباها جـــوهرا
هاجت فخلتُ الزهر كافورا بها وحسبتُ فيها الترب مسكا أذفرا
وكأن سوسنها يصافح وردها ثغر يقبل منه خداً أحمـــــرا
والنهر ما بين الرياض تخاله سيفا تعلق فـــي نجادأخضرا

مرحلة عصر الولاة:

ويبدأ بالفتح ودخول الإسلام لهذه البلاد وبعد تعيين أول والي عليها من قبل بني أمية في المشرق، وبطبيعة الحال كان أدباء تلك الفترة من الوافدين المشارقة، لذلك اتسم شعر تلك الفترة بأنه مشرقي خالص بمعنى أن خصائصه هي خصائص الشعر المشرقي من حيث الموضوعات والأسلوب، فالموضوعات تقليدية من مديح ورثاء وهجاء...الخ والأسلوب- كذلك- يسير على الاتجاه المشرقي من لغة وصور وبناء للقصيدة. وكان من أبرز شعراء تلك الفترة: أبو الأجرب جعونة بن الصمة، وأبو الخطار حسام بن ضرار، وإن لم يصلنا غير القليل من أشعارهما.

عصر بني امية:

ويبدأ بتولية عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) الحكم، وبناء مجد لبني أمية على أنقاض مجدهم الضائع في المشرق على يد العباسيين، وفي هذه الحقبة ظهر لنا أول جيل من الأندلسيين العرب، وإذا نظرنا لحالة الأدب لوجدناه متطبعا بالطابع المشرقي، فالشعراء يسيرون فيه على تقاليد المدرسة المشرقية المحافظة، غير ان هناك سمات ثلاث تميز شعراء تلك الفترة عن شعراء المشرق وهذه السمات، هي:

١-التجديد الموضوعي، بمعنى طرق موضوعات جديدة أو موضوعات قديمة ولكن بطريقة جديدة، كمعالجة الشاعر أبي المخشي للعمى، إذا أصيب به بعد أن كان مبصرا فأخذ يصور حاله وحاله زوجه المتأثرة بما أصابه.

٢-التركيز العاطفي: وهو تركيز الشاعر على عواطفه ونقلها عبر نصه الشعري.

٣- التجويد الفني: ويعني ايصال المعنى بطريقة الإيحاء.

ومن أبرز شعراء تلك الفترة: عبد الرحمن الداخل، وأبو المخشي، وحسانة التميمية، والحكم بن هشام. ولا يفوتني أن أذكر لك بانه في هذا العصر ظهرت لنا الموشحات كخطوة جديدة جريئة في عالم الشعر العربي.وقد مهد هذا الفن لظهور موضوعات جديدة نحو الخمريات، والغزل الشاذ، فالموشحات كما نعلم كانت مرتبطة إلى حد كبير بالغناء واللهو.وبذلك انتقل بعض الشعراء إلى مرحلة التجديد الشعري من طرق موضوعات جديدة نحو الخمريات، ووصف الطيعة، والزهد كرد فعل لظاهرة تفشي اللهو والمجونيات. اما الأسلوب فقد حدث فيه تجديد كذلك من استعمال للأوزان القصيرة، ومن سهولة اللغة الشعرية، ومن استمداد الصور من الحياة الحضارية..إلخ.

عصر ملوك الطوائف:

ويبدأ من انتهاء حكم بني أمية أثر الفتنة القرطبية التي ألحقت الدمار بكل شيء في قرطبة رمز العلم والمجد انذاك، وقد تميز هذا العصر بروح التنافس القوي بين ملوكه فأغلبهم كان محبا للعلم وللادب، بل منهم من كان يقرض الشعر كالمعتمد بن عباد ملك اشبيلية، وكان هؤلاءالملوك يزجلون العطايا للشعراء مما ساهم في تطور الشعر في تلك الفترة. وبسبب الاستقرار المادي والحضاري والعلمي وجدنا بعض الشعراء يعود مجددا للأسلوب الشعري القديم مع ربطه بالحضر، فظهر لنا أصحاب الاتجاه الوسطي أو المحافظ الجديد، وكان منهم ابن زيدون، وابن خفاجة، وغيرهما كثر، وهذا أبرز ملامح الأدب الأندلسي وأبرز اتجاهاته الادبية.

الموشحات:

وهي شكلٌ من أشكال الشعر ابتكره أهل الأندلس لرغبتهم في التجّديد والخروج على نظام القصيدة التقليديّة، بحيث ينسجم هذا الأدب الجديد مع طبيعة حياتهم الاجتماعية في تلك المرحلة، وتميز هذا النوع من الأدب عن غيره بعدة أمور منها: خصوصية البناء، وتميز اللغة، واختلاف الإيقاع،

والارتباط الكبير بالموسيقى والغناء، والالتزام بقواعد معينة؛ كاستخدامه للغة الدارجة أو اللغة الأعجميّة، وقد لاقى هذا الأدب اهتماماً كبيراً من الملوك والأمراء؛ مما كان له الأثر الأكبر في انتشاره الواسع خصوصاً بعهد المرابطين.

ويصف المؤرخون الموشحات بأنّها شعبيّة؛ لأنّها لون شعريّ نشأ في الأوساط الشعبيّة من أجل إرضاء رغبة الناس، ولأنّ البعض من نصوص هذا الفن نُظمت باللغة العاميّة الشعبيّة، مما جعل الشعراء الكبار في بداية نشأته يمتنعون عن التأليف على طريقته؛ لأنهم اعتبروا هذا التأليف بمنزلة عامة الناس، ولأنّ الموشح حسب رأيهم- أقل مستوى من الشعر التقليدي، ومع تطوّر الزمن تغيّرت هذه النظرة إلى الموشح، حيث أولوا له أهميةً كبيرةً، وبدأوا ينظمون شعرهم على منواله.

تعريف الموشحات تُعَرّفْ الموشحات في معناها اللغويّ: "أنّها كلام منظوم على وزن مخصوص"، وقد اشتُقّ اسمها من الوشاح؛ وهو رداء يمتاز بزركشته، وتزيينه بالزخارف والجواهر، وكان المراد من هذه التسميّة التغييرات التي طرأت على القصيدة العربيّة، أمّا التعريفات العديدة التي جاء بها الأدباء والباحثون، فتتلخص بأنّ الموشحات فنٌّ من فنون الشعر العربي المستحدّثة يختلف عن القصيدة التقليدية في قوافيه المتعددة، وأوزانه المتنوعة.

نشأة الموشحات:

يُعدّ الموشح ظاهرة من الظواهر الأدبية القليلة في الأدب العربي، فبعد الانتشار الواسع للشعر التقليدي في بلاد الأندلس بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديّين، والذي تميز بالتقيّد بالوزن والقافيّة ظهر جيلٌ جديدٌ من الشعراء، ونشأ وترعرع في الأندلس بين الطبيعة ومجالس الغناء والطرب ومظاهر الترف؛ فأثّرت هذه الأجواء المتحرّرة في شعره وعطائه، وأصبحت القصيدة الواحدة تظهر في مجالس الطرب غير ملتزمة ببحور الشعر وأوزانه

التقليديّة، حيث تنقّل الشعراء بين قوافي الشعر وبحوره وأوزانه، مما أدّى إلى تداخُل الغناء مع هذا اللون الجديد الذي تميّز باختلافه عن القصيدة التقليدية، من خلال اعتماده على أكثر من قافية ووزن وبحر عروضي.

إضافة إلى ما سبق؛ فإنّ الموشح نشأ أيضاً نتيجة وجود ظاهرة اجتماعيّة تجسّدت في الاختلاط المباشر بين العرب والإسبان، ونتج عن هذا الاحتكاك امتزاج لغويّ، تمثّل في معرفة الشعب الأندلسي للعاميّة العربيّة، واللاتينية، ونتيجة هذه الثنائيّة اللغويّة نشأت الموشحات التي كانت تُنظّم بالعربيّة الفصحى، باستثناء الفقرة الأخيرة منها، وكانت تسمى "الخرجة"، حيث كانت تنظم بالعاميّة الأندلسيّة، وهي عاميّة العربيّة التي كانت تستخدم ألفاظاً من العاميّة اللاتينية.

وأشهر أصحاب الموشحات لسان الدين الخطيب وغيره، وقد روي لابن المعتز من المشارقة موشح يمتاز بتماسك ديباجته ولا يقل رقة عن موشحات الأندلسيين، ونظموا الموشح باللغة العامية فلقِّب بالزجل، ثم شاع هذان النوعان في المشرق فحاكوا الأندلسيين فيهما حتى وقتنا هذا، ونبغ في الأندلس شعراء وشاعرات عديدون لا يحصون، أشهر مشهوريهم: ابن هاني –وقد سبق ذكره– وابن عبد ربه، وابن خفاجة، وابن حمديس، وولَّادة، وابن زيدون...إلخ، وأخيرًا ظهر الزجل الذي ينبع عندنا اليوم، وقد صار عاميًّا صرفًا في لهجته، وقد خصصنا هذا الفن بكتاب يظهر إن شاء الله.

النثر:

كانت مناصب الكتابة في عصر الولاة وأول عصر بني أمية كما كانت عليه في المشرق يتولاها الأمير مليًا على كاتبه، أو الكاتب برأي الأمير. وإذا علت مرتبة الكاتب وناب عن الأمير أو الخليفة سمِّي حاجبًا، وهو أشرف ألقاب الدولة. أما اسم الوزارة فكان يطلق على كل من يجالس الملوك ويختص بهم، ثم صار لقب الوزير الذي ينوب عن الملك في سياسة

الدولة ويلقَّب بذي الوزارتين، يكون غالبًا من رجال الأدب، وكذلك كانت حالة الكتابة من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وخلوها من السجع، إلا نادرًا، ثم حاكوا المشارقة في نظام الدواوين ورسوم الكتابات من تمييز أقسامها وتنويع بدئها وختامها، وتسجيع عباراتها، كطريقة ابن العميد في السجع القصير، واستمداد المعاني من الخيال، وحل المنظوم، ومن القرآن والحديث، وتضمين الأمثال، والتلميح إلى حوادث التاريخ، وكتبوا في كل الأغراض التي طرقها كتَّاب المشرق، ولكن بلاغتهم لم تنحط في آخر أمرهم كما انحطت في مصر والشام، في العصور التركية، لقلة طروء العناصر الأعجمية عليهم ولتأصُّل عادة الاشتغال بالعلم فيهم.

كتَّابهم: ابن شهيد أبلغ كتابهم، له في الوصف والمداعبات رسائل بديعة، وابن زيدون، والفتح بن خاقان.

التدوين والتصنيف: ابتدأ التدوين والتصنيف في أواخر عصر الأمويين وصدر العباسيين، أما الأندلس في ذلك الزمان فكانت مضطربة، فلما وطد عبد الرحمن أركان ملكه ومهَّد طريق الحضارة والرخاء والأمن لأهلها، هبُّوا يرحلون إلى المشرق لأداء فريضة الحج واقتباس العلوم، فتابعوا رحلاتهم إلى الشرق برًّا وبحرًا، ونقلوا إلى بلادهم علوم اللسان والدين؛ لأن الأندلسيين كانوا أشد أهل الأرض حبًّا للعلم، وتفانيًا في تحصيله وتوقيرًا لأهله، وساعدهم على ذلك بنو أمية وخلفاؤهم ببذل الأموال العظيمة في جمع الكتب ومكافأة العلماء، وأحلوهم أرفع منزلة، وسمعوا أمرهم وخضعوا لنهيهم، وأخصهم عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر «الحَكَم»، وقد جمع الحَكَم هذا في مكتبته بقصر قرطبة مئات الألوف من الكتب، وكذلك كان أكثر خلفاء بني أمية، وأعيان قرطبة، فما انقضى القرن الرابع حتى نبغ ألوف من العلماء، فضارعت الأندلس المشرق وفاقته في بعض العلوم، ولم يقصر ملوك الطوائف عن الأمويين فآزروا العلم وقرَّبوا العلماء، وكان من ملوكهم الأدباء

أيضًا مثل المظفر أحد بني الأفطس صاحب بطليموس، صاحب التاريخ المظفري في ٥٠ مجلدًا، وفي عصر المرابطين هدأت حركة العلم قليلًا؛ لأنهم اضطهدوا أصحاب الآراء والنِحَل المذهبية، حتى تساهل الموحدون في أمر مطاردة الفلسفة وعلومها، فنبغ من الحكماء والأطباء والكيمائيين جماعة أشهرهم: ابن رشد، والباجي، وابن زهر، ثم قلَّ الاختصاص في العلوم، وكانت تنتعش أحيانًا الحركة العلمية ثم ترقد، حتى أباد الإسبان العرب وعفوا آثارهم وأحرقوا كتبهم، فلم يسلم منها إلا ما نُقل قبل الجلاء أو جُهِل مكانه.

تأثير الأندلس: للأندلس أبلغ أثر عربي في الغرب، فكلية قرطبة كانت تضم بين جدرانها اثني عشر ألفًا من الطلاب، عرب وغير عرب، والفن العربي في البناء تجلى بأبهى مظاهره في الأندلس من قصر الحمراء إلى جامع قرطبة، وجعلوا للغة العرب سيادة هائلة في الغرب فاندحرت أمامها جميع اللغات، حتى طلب رؤساء الدين المسيحيون من البابا أن يترجموا كتب الطقوس الدينية إلى العربية، وأدخلوا في لغات الغرب القافية في الشعر التي لم يعرفها الغربيون قبل العرب، ثم طوروا شعرهم إلى نوع الموشحات، ووأخذ الطرب عن العرب من الموسيقى الكمنجة «الرَّباب» والفليت «الشبَّابة» عدا الألفاظ التي ملأت لغات الأوروبيين. أما العلوم وفروعها فحدِّث عنها ولا حرج، فقد ظلت كتب العرب مصدرًا لها، ولا يزال حتى اليوم المستشرقون يخرجونها كل عام.

شعراء الأندلس:

شعراء الأندلس فئتان: فئة ظلت محافظة في شعرها على النمط الشرقي فلم تخرج على التقليد، فقالت قصيدتها على الطراز الذي ألفه الشعراء المشارقة في التفكير والتصوير، فلم تكن أفكارهم غير شرقية. وعندما قال الصاحب بن عباد كلمته — حين اطَّلع على العقد الفريد ولم يجد فيه ما كان

ينتظر من أدبنا عبر البحار: هذه بضاعتنا ردت إلينا. جاءت تلك الكلمة في محلها. ولكن الفئة الثانية خرجت على العروضي، فالعرب الأندلسيون في فجر هجرتهم كانوا مقلِّدين للمشرق في كل شيء، حتى الألقاب التي كان يتخذها ملوكهم، ولما طال الزمان وتأثروا بمحيطهم الجديد خططوا قصائدهم على النظام المعماري الغربي، فصارت قصائدهم غير ذات زوايا أربع كبيوتنا الشرقية، ولما كان هذا الكتاب معمولًا — كما قلنا في التوطئة — ليكون دليلًا للقارئ في دنيا ثقافتنا الواسعة، اكتفينا بما قلنا حتى لا نخرج عن تخطيطنا؛ ولهذا نقول إن شعراء الأندلس ليسوا كلهم ممن وشَّحوا قصائدهم فنوعوا قوافيها ووحدوا موضوعها، ولعل أول المحافظين كان ابن عبد ربه الذي لقِّب بمليح الأندلس.

ابن عبد ربه:

هو مليح حقًّا، وقد كان المتنبي محقًّا حين سمع شعره وأثنى عليه؛ فلهذا الأديب شعر متماسك خالٍ من تلك الميوعة التي نجدها في شعر المتوسطين من شعر ذلك الشطر من الإمبراطورية العربية، فليس في شعر الأندلسيين الذين قالوا الموشحات شعر يماشي شعر المشارقة غير موشح لسان الدين الخطيب: جادك الغيث. والموشح الآخر المنسوب لابن المعتز، فابن عبد ربه، وهو الشاعر المجيد الذي لم يتخلَّ عن شرقيته، له شعر ذو حظ كبير من الخيال واعتماده على الاستعارة والتشبيه، والذي رأيته هو أن خياله أقوى من عاطفته، وُلد هذا الشاعر بقرطبة، وانكبَّ على المطالعة، ثم لما اشتد ساعده ألَّف كتابه «العقد الفريد» الذي زين به جِيد حسناء يعرب.

ابن زيدون وولَّادة:

لا تغرك هذه الواو والنون، فالعرب قالوا هكذا، وابن زيدون من مواليد قرطبة وهو عربي أصيل من بني مخزوم، وُهِب مَلَكة شعرية رائعة فقال الشعر يقطر رواء وماوية، وقال أشهر قصائده كما أوحاها إليه قلبه، فدارت

على الألسن وظلت حتى يومنا هذا في دورانها، قالها حين حِيل بينه وبين حبيبته ولادة بنت المستكفي، وهي شاعرة من طرازه، وقد كانت سافرة في ذلك الزمان، رغم أنها بنت الخليفة المستكفي، وقد أراد ابن عبدوس أن يشاركه في حبها ولكنها لم تمِلْ إليه، ولمَّا كان هذا من المقربين من أولياء الأمر دسَّ الدسائس، فنجحت وشايته، فسُجن ابن زيدون، ولما عجز عن استرضاء ابن جَهور صاحب العرش، فر من سجنه ولجأ إلى المعتمد بن عباد، واشتهر ابن زيدون بالرسالة التهكمية التي وجَّهها إلى ابن عبدوس، وهي من طراز رسالة التربيع والتدوير التي كتبها الجاحظ. والرسالة تشبه اليوم ما عُرف «بطبق الأصل»؛ إذ كتبها عن لسان ولادة صاحبة الندوة الأدبية التي تقول في وصف نفسها:

أنا والله أصلـــــــــــح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأمنح قبلتي من يشتهيها

وقد كانت تكره ابن عبدوس ولا تخشى أن تتندر عليه، وقد مرت عليه مرة وهو جالس أمام بركته الآسنة، فقالت له متمثلة:

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

وقد كانت ولادة شاعرة حرة التفكير، كأنها من نساء اليوم المتطرفات، وإذا لم تنظم الروائع فحسبها أن حبها أوحى إلى ابن زيدون قصيدته الباقية: أضحى التنائي بديلًا من تدانينا. وسنقرؤها إن شاء الله في النصوص المختارة، وهي جزء تابع لهذا الموجز.

ابن عمار:

وُلد في بيت خامل، تأدَّب في قرطبة مدينة الأدب والعلم، ثم صار معلمًا للمعتمد ابن عباد ونجيَّه وسميره ووزيره، وابن عمار يجاري ابن زيدون، وأغلب قصائده في مدح المعتضد وابن المعتمد.

شعره: يمتاز شعر ابن عمار بصوره كما امتاز شعر ابن زيدون بعاطفته الحامية الوطيس، ومن قول ابن عمار في مدح سيده:

أثمرت رمحك من رءوس ملوكهم لما رأيت الغصن يعشق مثمرا

وصبغت درعك من دماء كماتهم لما علمت الحسن يلبس أحمرا

أما نهاية ابن عمار فكانت بشعة؛ تآمر على مولاه المعتمد وعصاه، فسجنه المعتمد ولم يعفُ عنه رغم القصائد التي قالها في طلب العفو، بل قتله بيده في سجنه وأمر بدفنه.

ابن حمديس الصقلبي:

شاعر مبدع في الصور والتخيل، تعمَّق في وصف الطبيعة والعمران، وجد خياله مجالًا واسعًا، وكان له في محيطه مرعى خصيب، جنائن وارفة الظلال وأنهار تغني للغصون فترقص، بدائع وطرائف راح يصوِّرها ابن حمديس بقلمه، فجاءت لوحات طريفة نادرة، وقد مشى على خطى البحتري في وصف القصور والبرك، وسعى وراء التشابيه والاستعارات يتصيدها حتى ظهرت الصنعة وكثرت، ولم يهمل ابن حمديس شعر المدح فأغرق فيه، وعاش ميسورًا.

ابن خفاجة:

وُلد بجزيرة شقْر، وهو كابن حمديس في أغراضه الشعرية، حاكاه في صوره وإحساسه، وآفة الشعراء سيرهم خلف بعضهم كالقوافل على الطرق المعبَّدة، لكن ابن خفاجة لم يتكسَّب بشعره إلا نادرًا، فقاله في الموضوعات الأخرى.

ابن سعيد:

شاعر أندلسي، هاجر إلى مصر فأصابه داء الحنين إلى وطنه، فقال شعرًا جيدًا في ذلك، متذكرًا غرناطة التي ولد فيها.

لسان الدين الخطيب:

ولد بلُوشة، وتضلع من جميع علوم زمان حتى صار فيها حجَّة، ولما اجتمع أشده خلف أباه ووزِّر لبني الأحمر، وظل ينعم في ظل العز الوارف، حتى خلع مولاه فاعتقل وعذب، واتهم بالإلحاد والزندقة عملًا بالكلمة المشهورة: من تمنطق فقد تزندق. ثم كانت الفتوى وإباحة دمه، فهاجموا السجن فخنقوه وطرحوا جثته فدفن، ثم أُخرج من لحده وأُحرق، وكان لسان الدين شاعرًا مجيدًا وكاتبًا وخطيبًا وفيلسوفًا مشاركًا في جميع علوم زمانه، وله مؤلفات، منها: كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة، وكتاب الإشارة إلى آداب الوزارة، وبستان الدول.

تآليفه: وقد أوصل المقري تآليف لسان الدين الخطيب إلى الستين، وأشهر موشح اتبع حتى قلده المشارقة والمغاربة، هو موشح لسان الدين الذي مطلعه:

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس

وله غيره موشحات كثيرة وشعر وافر.

المعتمد بن عباد:

سيرة حياته: أبوه المعتضد العبادي ملك إشبيلية، مات أخوه الذي كان صاحب الحق في ميراث العرش، فانتهى الأمر إليه. اتخذ الشاعر ابن عمار وزيرًا لدولته، ثم قتله بيده كما مرَّ، واستولى على قرطبة، وبلغ مرسية، ولما اتسعت رقعة ملكه وخاف عليه من ملك قشتالة ألفونس، استنجد بابن تاشفين ملك مراكش فلبَّاه. وأخيرًا انقلب عليه وأشعل نار الفتن، فاستولى على قرطبة وإشبيلية وأسر المعتمد ونفاه وأهله إلى أغمات، وهناك مات بعد عذاب شديد وفقر ليس فوقه فقر، وهذا الملك هو أحد الذين صوَّرهم أحد شعراء عصرهم حين قال:

وتفرقوا شيعًا فكل قبيلة منها أمير المؤمنين ومنبر

إنه شاعر، وقد وصف لنا سوء مصيره في شعره الذي هو أبلغ معبِّر عن آلامه ونكبته الفظيعة. قال يصف موقفه من العيد في أغمات:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا فجاءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك فـــــي الأطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتلسيم خاشعـــــــــــة أبصارهن حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية كأنـــــــــها لم تطأ مسكًا وكافورا
أفطرت فـــــــي العيد لا عادت إساءته وكان فطرك للأكباد تفطيرا
من بات بعدك فـــــــــــــي ملك يسر به فإنما بات بالأحلام مغرورا

وخوفًا من أن تتساءل كما تساءل العقاد عن التين والعنب في قصيدة أبي تمام البائية فتقول منتقدًا: متى كان المسك والكافور للموطئ؟ فإننا نقول لك كما قلنا لذاك العلامة في غير هذا الكتاب.

حكاية المسك: زعموا أن زوجة المعتمد أعجبها مشهد النسوة الفقيرات يحملن جرارهن ويخضن في الوحل، فتمنَّت أن تفعل مثلهن، فأبى المعتمد، ولكنه حبًّا بتلك الملكة عمل لها وحلة من مسك، فحملت جرَّتها مثلهن وفعلت هي وبناتها كما فعلن، ويقال إنها حينما جاءت زائرة زوجها الملك في زندانه، تذمرت وقالت إنها لم تشاهد يومًا أبيض في حياتها معه، فأجابها المعتمد: ولا يوم الطين ...!

من بات بعدك في ملك يسر به فإنما بات بالأحلام مغرورا

المعتمد وأبو فراس: المعتمد أبو عيلة، ولذلك جاء تفجعه مؤلمًا، أما أبو فراس فكان برًّا بأمه فما ذكر غيرها حين قال:

لولا العجوز بمنبج ما خفت أسباب المنيه

فبعد هذا الذي نقلناه لك من شعر المعتمد، أقول: تعطلت لغة الكلام فقابِل أنت بين الشاعرين، فكلاهما منكوب، وقد صح فيه قول من قال:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

فلو تذكر المعتمد في سجنه بأية صورة وحشية قتل شاعره ووزيره ابن عمار، لهانت عليه مصيبته، وعندما تقرأ رثاء أبي البقاء الرندي للأندلس، ستهون جميع المصائب.

ابن هانئ الأندلسي:

نسبه: هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي، وُلد بإشبيلية ٣٢٦، اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر الأموي، فمدحه بقصائد غرَّاء، اتُّهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بمذاهب الفلاسفة، وظهر ذلك الأثر في شعره لوصفه الممدوح بصفات المعبود، فنقم لذلك أهل إشبيلية فأشار عاملها عليه بالهجرة، فهاجر إلى المغرب ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمي، فاتصل خبره بالمعز فدعاه إليه ومدحه بإفريقية، ودخل في دعوة الفاطميين فاتخذه المعز شاعرًا لدولته.

ولما فُتحت مصر على يد جوهر وبنى القاهرة ورحل المعز إليها، أراد ابن هانئ اللحاق به، فتجهَّز وتبعه، ولما وصل إلى برقة نزل على بعض أهلها، فأقام عنده في مجلس أنس، يقال إنهم عربدوا عليه وقتلوه وعمره ٣٦ سنة، ويقال أيضًا إنه وُجد مشنوقًا بتكة سراويله، روي أنه عندما بلغ المعز خبر موته قال: هذا شاعر كنا نرجو أن نفاخر به الشرق.

أخلاقه: كان غير ديِّن، خالعًا كافرًا.

لقبه: متنبي الغرب.

صراحته: كان صريح القول والفعل، لا يبالي بأحد ولا بعواقب الصراحة، ومبالغته بها قتلته. وهذه المبالغة في الصراحة أدت إلى تطرفه في الأفكار والمديح حتى قال لممدوحه:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقوله:

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الأشياء

شعره: قيل فيه:

إن تكن فارسًا فكن كعليٍّ أو تكن شاعرًا فكن كابن هاني

هو كبير شعراء الأندلس، غير مدافع، سليم التفكير، سلس التعبير، عالج كثيرًا من مشاكل الحياة وأحوال الاجتماع.

تأثره بالمتنبي: اطَّلع على شعر المتنبي وهو معاصره، فنسج نسجه في الحكمة والفلسفة والأمثال، وفاقه في المبالغة التي لم نسمع بمثلها في الشعر العربي.

وصفه: يجيد وصف ما يراه إجادة نادرة، ولذلك سموه متنبي الغرب، تشبيهًا له بأبي الطيب، إنما بين الاثنين فرق: المتنبي مبتدع، وابن هانئ متبع، شعره يقرقع، كما قال المعري.

أبوالبقاء الرندي:

وأبو البقاء الرندي هو أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرندي الأندلسي (٦٠١ هـ -٦٨٤ هـ الموافق: ١٢٠٤ - ١٢٨٥ م) هو من أبناء (رندة) قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس وإليها نسبته، وقد عاشَ في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وعاصر الفتن والاضطرابات التي حدثت من الداخل والخارج في بلاد الأندلس وشهد سقوط معظم القواعد الأندلسية في يد الأسبان، وحياتُه التفصيلية تكاد تكون مجهولة، ولولا شهرة هذه القصيدة وتناقلها بين الناس ما ذكرته كتب الأدب، وإن كان له غيرها مما لم يشتهر، توفي في النصف الثاني من القرن السابع ولا نعلم سنة وفاته على التحديد، وهو من حفظة الحديث والفقهاء. وقد كان بارعا في نظم الكلام ونثره، وكذلك أجاد في المدح والغزل والوصف والزهد، إلا أن شهرته تعود إلى قصيدة نظمها بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية، وفي قصيدته التي نظمها ليستنصر أهل العدوة

الإفريقية من المرينيين عندما أخذ أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملا في أن يبقى ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة وتعرف قصيدته بمرثية الأندلس، وهي من أروع القصائد في رثاء الأندلس، يقول في مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش إنسان**

هـــي الأمور كما شاهدتها دولٌ * من سره زمن سائته أزمانُ**

أما مناسبتها، فقد أخذت سيطرة العرب المسلمين، في نهاية حكمهم لبلاد الأندلس، تتضاءل شيئا فشيئًا، بسقوط بعض المدن الإسلامية الهامة، في أيدي الفرنجة، وأصبحت البلاد تروّع كلّ يوم، بغارات الأعداء دون أن تجد قوة إسلامية، تصد الزحف الصليبي المتوغل، وقد أدرك المفكرون هول الخطر الراصد، فانطلق الشعراء والأدباء، يصوّرون النهاية المتوقعة، في حسرة بالغة، ومما قيل في هذه المأساة ما نقدّمه الآن من أبيات صاغها شاعر متفجع يبكي الوطن الضائع، ويحذّر المسلمين في شتى البقاع الأرض.

****

الفصل الثانى
لغويّات

المبحث الأول

الجملة الفعلية والمرفوعات والمنصوبات

أولا: الفاعل

الفاعل هو: الاسم، المرفوع، المذكور قبله فعله...الاسم، وهذا خرج به من: الفعل، والحرف؛ فلا يكون أيٌّ من الفعل أو الحرف فاعلًا، والمرفوع، وهذا خرج به من: الاسم المنصوب، والاسم المجرور؛ فلا يكون أي من الأسماء المنصوبة، أو الأسماء المجرورة فاعلًا، والمذكور قبله فعله، وهذا يخرج به من:

• المبتدأ، وخبر (إن) وأخواتها، والخبر؛ فإنها لم يتقدَّمْها فعل ألبتة.

• واسم (كان) وأخواتها؛ فإنه وإن تقدَّمه فعل، ولكنه يسمى اسمًا لـ(كان) وأخواتها، لا فاعلًا.

• نائب الفاعل؛ لأنه لم يذكر قبله فعله؛ لأن الذي يُذكر معه إنما هو فعل فاعله الذي ناب عنه، لا فعله هو، قال تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، والأصل: خلق اللهُ الإنسانَ، فيكون الفعل (خُلق) إنما هو فعل الفاعل الأصلي (الله)، والفاعل عند النحاة هو الذي أحدث الفعل، وقام به، وأوقعه؛ نحو قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، فالفاعل هنا هو لفظ الجلالة (الله)؛ إذ إن فعل الخلق كان مِن الله عز وجل، فهو سبحانه الذي قام بالخلق، وأوقَعَه، ومثال الفاعل أيضًا: الكلمات: (نسوة، إخوة، إبراهيم) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فالذي أوقع الفعل وقام به في الآية الأولى (النسوة)، والذي أوقع المجيء وأحدثه وقام به في الآية الثانية (إخوة)، والذي أوقع الرفع وقام به في الآية الثالثة (إبراهيم) صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك كانت هذه الكلمات الثلاث هي الفاعل، وكانت مرفوعة.

أقسام الفاعل:

ينقسم الفاعل إلى قسمين: ظاهر، وضمير، وفيما يلي إن شاء الله تعالى الحديث عن هذين القسمين بشيء من التفصيل.

أولًا: الفاعل الظاهر:

هو: ما دل على مسماه بدون حاجة إلى قرينة، وبعبارة أيسر، هو: ما ليس ضميرًا، وهو ينقسم إلى: مذكَّر، ومؤنث.

أولًا: الفاعل الظاهر المذكر:

ينقسم الفاعل الظاهر المذكر من حيث الإفراد والتثنية والجمع إلى:

١- مفرد مذكر، ويأتي مع الفعل:

الماضي؛ نحو (أبوهم)، في قول الله عز وجل: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ﴾ [يوسف: ٦٨]، والمضارع؛ نحو (إبراهيم) في قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٢ – مثنى مذكر، ويأتي أيضًا مع الفعل:

الماضي؛ نحو (رجلان) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ [المائدة: ٢٣]، ونحو (أبواه) في قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ ﴾ [النساء: ١١].

والمضارع؛ نحو (رجُلان) في قوله صلى الله عليه وسلم: ((فلا يتناجى رجُلانِ)).

٣ – جمع مذكر سالم، ويأتي كذلك مع الفعل:

الماضي؛ نحو (المؤمنون) في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١].

والمضارع؛ نحو (المؤمنون) في قوله عز وجل: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٤ – جمع التكسير للذكور، ويأتي أيضًا مع الفعل:

الماضي؛ نحو: (آباؤنا) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

أو المضارع؛ نحو (آباؤنا) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠].

ثانياً: الفاعل الظاهر المؤنث:

ينقسم الفاعل الاسم الظاهر المؤنث من حيث الإفراد والتثنية والجمع إلى:

١ – مفردة مؤنثة، وتكون مع الفعل:

الماضي؛ نحو: (امرأة) في قول الله عز وجل: ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١].

والمضارع؛ نحو (أختك) في قوله سبحانه: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴾ [طه: ٤٠].

٢ – مثنى مؤنث، ويكون أيضًا مع الفعل:

الماضي؛ نحو (اثنتا) في قوله عز وجل: ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة: ٦٠].

والمضارع؛ نحو: (اثنتان) في قوله صلى الله عليه وسلم: ((يهرم ابن آدم، وتشبُّ منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر)).

٣ – جمع مؤنث سالم، ويكون أيضًا مع الفعل:

الماضي؛ نحو؛ (السماوات) في قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والمضارع؛ نحو (المؤمنات) في قول عائشة رضي الله عنها: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات.

٤ – جمع التكسير للإناث، ويكون كذلك مع:

الفعل الماضي؛ نحو: (نسوة) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف: ٣٠].

والفعل المضارع؛ نحو: (نساء)، في قول عائشة رضي الله عنها: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي الفجر، فيشهد معه نساء...؛ الحديث.

مما سبق يتضح لنا: أن الفاعل الاسم الظاهر قد يكون مفردًا، وقد يكون مثنى، وقد يكون جمع تكسير؛ سواء في ذلك كله كان مذكرًا أم مؤنثًا، وقد يكون كذلك جمع مؤنث سالمًا، أو جمع مذكر سالمًا، يعني وبعبارة أجمع، نقول: أيًّا كان نوع الاسم الظاهر – مذكرًا كان أو مؤنثًا، مفردًا كان أو مثنى أو مجموعًا، من الأسماء الخمسة كما مثَّلنا، أو ليس منها – فإنه يقع فاعلًا، ولا فرق بين أن يكون فعله الرافع له على الفاعلية ماضيًا أو مضارعًا.

ثانياً: نائب الفاعل

هو ما يحل محل الفاعل بعد حذفه، ويأخذ جميع أحكامه مثل: عُرِفَ الحقُّ والأصل في هذا المثال: عرف فلان الحق، وهنا حذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه، كذلك في فُهِم الدرسُ والمقصود: فهم الطالب الدرس، وهنا أيضًا حذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه، ويعرّف أيضًا بأنه: اسم مرفوع تقدم عليه فعلٌ مبني للمجهول، أي فاعله غير معروف، مثل: عوقِبَ المهملُ، أو تقدّم عليه مشتق يشبه الفعل المبني للمجهول مثل اسم المفعول ليكن عاملًا في رفعه، مثل: المهذّبُ محمودةٌ سيرتُه.

كيف أعرف نائب الفاعل؟ عندما يحذف الفاعل ينوب عنه المفعول به ويقوم مقامه، فيأخذ أحكام الفاعل كلزوم الرفع ووجوب تأخيره عن رافعه، وعدم جواز حذفه؛ لأنه أصبح عمدة لا يستغنى عنه، وإن الفعل المبني للمجهول من أهم العوامل التي تدلنا على وجود نائب الفاعل في الجملة لأنها جملة جُهل فاعل الفعل فيها، ولمعرفة نائب الفاعل يجب معرفة أغراض حذف الفاعل التي تؤدي ليحل المفعول به محل الفاعل وينوب عنه، وهي أربعة أغراض:

-الجهل به: أي إذا كان الفاعل غير معروف ونجهله ومثال ذلك: "كُسِرَ الزجاج"، وهنا الفاعل غير معلوم ومجهول من قام بكسر الزجاج.

-العلم به: أي إذا كان الفاعل معلومًا بشكلٍ بدهيّ ومثال ذلك: "خُلِق الإنسانُ ضعيفًا"، وهنا معلوم بشكل بدهيّ أن الذي خلق الإنسان هو الله عز وجلّ.

-الخوف منه: أي الفاعل يكون معلومًا لكن لا يذكر المتكلم اسمه لأنه يخاف منه ومثال ذلك: "أُهِينَ المظلوم"، فلا يذكر من الذي أهان خشية منه وخوفًا.

-الخوف عليه: أي الفاعل يكون معلومًا لكن لا يذكر المتكلم اسمه لأنه يخاف عليه ومثال ذلك: "أُعِدت العدةُ للقبض على المجرمين"، فلا يذكر الفاعل خوفًا عليه.

أشكال نائب الفاعل:

كيف يأتي نائب الفاعل في الجملة في اللغة العربية؟ بما أنه ينوب عن الفاعل ويأخذ أحكامه فله أشكال الفاعل في الجملة إذ له ثلاثة أشكال أيضًا مثل الفاعل نوضحها في الآتي:

-أن يأتي اسمًا ظاهرًا "جامدًا أو مشتقًا": وهنا يأتي نائب الفاعل بعد الفعل، ومسندًا إليه، ويكون اسمًا ظاهرًا نكرة أو معرفة، جامدًا أو مشتقًا مثل: حُفِظَ الدرسُ.

-أن يأتي ضميرًا بارزًا أو مستترًا: وهنا يأتي نائب الفاعل ضميرًا بارزًا، مثل: كوفِئتَ على اجتهادك.

-أن يأتي مصدرًا مؤولًا: والجملة المصدرية مؤلفة من حرف مصدري وما بعدها يدل على المصدر، وهنا يؤول نائب الفاعل حسب مقتضى الجملة. مثل: عُلِمَ أنك متفوقٌ والتقدير عُلِم تفوقك. وقد يأتي ظرفًا: مثل: سُهِرَت ليلةُ القدر، ويشترط في الظرف أن يكون متصرّفًا مختصًا فلا يجوز أن نقول: جُلِسَ معك، وقد يأتي مصدرًا: مثل: كُتِبَت كتابةٌ حسنةٌ، وهنا أيضًا يشترط في المصدر أن يكون متصرفًا مختصًا فلا يجوز أن نقول: سِيرَ سَيرٌ، وقد يأتي جارًا ومجرورًا: مثل: نُظرَ في الأمر، وفي

الحديث عن أشكاله لا بد من الإشارة إلى أنه عندما يتعدد المفعول به أُنيب الأول، مثل: أعلِم المستفهمُ الأمرَ واقعًا.

إعراب نائب الفاعل كيف يعرب نائب الفاعل في الجملة في اللغة العربية؟ إن علامة رفع نائب الفاعل هي الضمة وهي علامةٌ أصلية في الاسم المفرد وجمع المؤنث السالم، ويوجد أيضًا علامات فرعية كأن يرفع بالألف في المثنى، ويرفع بالواو في جمع المذكر السالم، والواو في الأسماء الخمسة، ويعرب حسب الشكل الذي يأتي فيه، كما هو موضح في الأمثلة الآتية:

حُبِسَ السارقُ: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، كُرّمتَ على تفوقك: تعرب تاء الفاعل المتحركة هنا: ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، عُرِفَ أنك الهاربُ: المصدر المؤول من أن وما بعدها في محل رفع نائب فاعل، صيمَ شهرُ رمضان: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، احتُفِلَ احتفالٌ رائعٌ: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

نودي الطالبان: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، سُئلَ المدرسون: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، صِيدت الفراشاتُ: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، سُرِق أخوك: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر بالإضافة.

أمثلة على نائب الفاعل: ما الحالات التي يأتي فيها نائب الفاعل في الجملة؟

-اسم ظاهر مفرد نكرة: كسر بابٌ، اسم ظاهر مفرد معرفة: أُغلق البابُ، اسم ظاهر مثنى: كوفئ الطالبان، اسم ظاهر جمع مذكر سالم: كُرِم المعلمون في عيدهم، اسم ظاهر جمع مؤنث سالم: أُرسلت الممرضاتُ في بعثةٍ، اسم ظاهر الأسماء الخمسة: سُعِد أخوك، ضمير متصل: قُرئت قصةٌ، المصدر المؤول من أن وما بعدها: عُلم أنك مسافرٌ، مصدر: دُخِل دخولُ الفاتحين، جار مجرور: سير على الطريق، ظرف: سُهرت ليلة القدر.

آيات قرآنية فيها نائب فاعل: هل ورد نائب الفاعل في القرآن الكريم؟ قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}، قال تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ}، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ}، قال تعالى: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، قال تعالى: {يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ}، قال تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ}، نائب الفاعل له أشكال لينوب عن الفاعل وكل ذلك يأتي في إطار عدم نكران الفاعل الذي لا محال يجب أن يأتي ولو كان نائبًا عنه أو بديلًا له في سياق الجملة الفعلية.

ثالثاً: المفاعيل الخمسة

المفاعيل الخمسة تجمع في بيت شعري و احدهو:

ضربت ضربا أبا عمرو غداة أتى وسرت والنيل خوفا من عتابك

ضربا: مفعول مطلق، أبا: مفعول به، غداة: مفعول فيه، النيل: مفعول معه، خوفا: مفعول لأجله، وكلها طبعا منصوبة.

أولا: المفعول به

المفعول به اسم منصوب يدل على من وقع عليه فعل الفاعل، وقد يكون: اسما معربًا: أكل الولدُ التفاحةَ، أو اسما مبنيًا (ضميرًا متصلاً أو منفصلاً أو اسم إشارة أو اسمً ا موصولاً(رأيتك من بعيد "ك: ضمير متصل في محل نصب مفعول به"، أو مصدرًا مؤولاً من "أن والفعل" أو من "أنَّ واسمها وخبرها": أكد الأب أنَّ ابنه قويٌ، أريد أن آكل، ويجوز أن يتقدم المفعول به على الفاعل، نحو: يحرس القطنَ الفلاحُ.

* إذا كان الكلام مفهومًا فإن الفعل يحذف ويبقى المفعول به: وهناك عبارة شائعة: أهلاً وسهلاً أي قدمت أهلاً ووطئت سهلاً، وقد يعمل المصدر أو اسم الفاعل عمل الفعل أي يستطيع أن يرفع فاعلاً أو أن ينصب مفعولاً به (أحبُّ تهنئة كاتب القصة (كاتب هو اسم فاعل أما القصة هي مفعول به لكلمة كاتب، وهناك إمكانية وجود أكثر من مفعول به وذلك بسبب الأفعال المتعدية التي تحتاج أكثر من مفعول به حتى يتم معناها: جعل أبوك حياةَ أخاك هنيئة (حياة: مفعول به أول، أخاك: مفعول به ثانٍ).

الأفعال التي تنصب مفعولين:

١- الأفعال التي تدخل على المبتدأ والخبر وتحولهما إلى مفعولين منصوبين:

أ- أفعال الظنّ: ظنَّ، خال، حسب، زعم، جعل، هب: حسبت الفتاة غبية.

ب- أفعال اليقين: رأى، علمَ، وجد، ألفى، تعلَّمْ (بمعنى اعلم): وجد الضعيفُ الحياةَ الجهاديةَ صعبةً.

ج- أفعال التحويل: صيَّر، حوَّل، جعل، ردَّ، اتخذ، تَخذ: حوَّل الفرحَ القائمَ إلى مهزلة.

٢- الأفعال التي تحتاج إلى مفعولين حتى يتم معناها ليس أصلهما مبتدأ وخبر: كسا، ألبس، أعطى، منح، سأل، منع: كسا الثلج الأرضَ ثوبًا أبيضًا (الأرض: مفعول به أول، ثوبًا: مفعول به ثانٍ وأبيضًا هي نعت لكلمة ثوبًا).

ثانياً: المفعول المطلق

تعريفه: اسم مشتق من لفظ الفعل يدل على حدث غير مقترن بزمن، ويعمل فيه فعله، أو شبهه، على أن يذكر معه، نحو: أقدر الأصدقاء تقديرا عظيما، فتقديرا: مفعول مطلق منصوب، العامل فيه فعله، وهو: أقدر، ويتنوع المفعول المطلق فيكون نكرة، كما في المثال السابق، وقد يكون معرفا بأل نحو قوله تعالى: "فيعذبه الله العذاب الأكبر"، أو بالإضافة، نحو قوله تعالى: "وقد مكروا مكرَهم"، وقوله تعالى: "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها"، ويأتي المفعول المطلق لإحدى غايات ثلاث توضح أنواعه، ويكون منصوبا دائما.

أنواعه:

١- يأتي المصدر لتوكيد فعله، نحو: قفز النمر قفزا، وأجللت الأمير إجلالا، ومنه قوله تعالى: " وكلم الله موسى تكليما"، فالكلمات: قفزا، وإجلالا، وتكليما مفاعيل مطلقة، وهي مصادر لكل من الأفعال: قفز، وأجلّ، وكلم، وقد جاءت مؤكدة حدوثها، ومنه قوله تعالى: "إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا"، وقوله تعالى: "كلا إذا دكت الأرض دكا دكا"، ومنه قول الشاعر:

أحبك حبا لو تحبين مثله أصابك من وجد عليّ جنون

٢- لبيان نوعه، نحو: تفوق المتسابق تفوقا كبيرا،ونحو: انطلقت السيارة انطلاق السهم، فكلمة: تفوقا جاءت مفعولا مطلقا مبينا لنوع فعله، لأنه موصوف بكلمة "كبيرا"، وكذلك كلمة انطلاق جاءت مفعولا مطلقا مبينا لنوع فعله، لأنه مضاف لما بعده، وهو كلمة "السهم"، وهكذا كل مصدر جاء موصوفا، أومضافا يكون مبينا لنوع فعله، ومنه قول المتنبي:

لا تكثر الأمواتُ كثرةَ قلة إلا إذا شقيت بك الأحياءُ

٣- أو لبيان عدده، نحو: ركعت ركعة، وسجدت سجدتين، (فركعة، وسجدتين) كل منهما وقع مفعولا مطلقا مبينا لعدد مرات حدوث الفعل، فركعة بينت وقوع الفعل مرة واحدة، وسجدتين بينت وقوع الفعل مرتين، وكلاهما مصدر أسم مرة.

٤- أَو يذكر بدلاً من لفظ فعله مثل: صبراً على الأَهوال.

تثنية المفعول المطلق وجمعه:

* المفعول المطلق المؤكد لفعله و ما جاء بدلا من لفظ فعله لا يثنى ولا يجمع، فلا نقول:

انطلقت انطلاقا: انطلقت انطلاقين، ولا انطلقت انطلاقات.

** المفعول المطلق المبين للنوع يجوز تثنية وجمعه على قلة، نحو: وقفت وقوفي محمد وأحمد، بمعنى أنك وقفت مرة وقوف محمد، ومرة أخرى وقفت وقوف أحمد.

*** المفعول المبين للعد فإنه يثنى ويجمع على الإطلاق، لأن هذه هي طبيعته، نقول: جلدت اللص جلدة، وجلدت اللص جلدتين،، وجلدته جلدات.

عامل المفعول المطلق:

يعمل في المفعول المطلق كل من الآتي:

١- الفعل وهو الأصل نحو: احترم أصدقائي احتراما عظيما، وقد مر معنا عمل الفعل في مصدره من خلال جميع الأمثلة السابقة.

٢- المصدر نحو (نجاحكم نجاحا باهرا) فنجاح مفعول مطلق مبين لنوع العامل فيه وهو المصدر: نجاحكم.

٣- اسم الفاعل نحو قوله تعالى: "والصافات صفا"، صفا: مفعول مطلق مؤكد لعامله وهو اسم الفاعل: الصافات.

٤- الصفة المشبهة نحو: هذا قبيح قبحا شديدا، قبحا: مفعول مطلق مبين لنوع عامله وهو الصفة المشبهة: قبيح.

٥- اسم التفضيل نحو: عليّ أشجعهم شجاعة، ومحمد أكرمهم كرما.

ثالثاً: المفعول لأجله

تعريفه: مصدر منصوب يذكر لبيان سبب وقوع الفعل، أو ما دل على الوقوع، ويسمى: المفعول له، والمفعول من أجله، وهو جواب مقدر لسؤال يبدأ بـ : لم، أولماذا، ويشترط فيه أن يتحد مع عامله "وهو ما جاء المفعول لأجله ليبين سببه"، في الزمان والفاعل، نحو: أقرأ حبا

في القراءة، حبا: مفعول لأجله، وهو مما توفرت فيه كل الشروط التي ذكرنا سابقا، فهو مصدر الفعل "حبّ"، ويبين سبب وقوع الفعل "أقرأ "، لِمَ أقرأ ؟ الجواب: حبا، وهو متحد معه في الزمان بمعنى أن القراءة والحب حادثان في آن واحد، وليست القراءة في وقت غير وقت الحب، وهو متحد معه في الفاعل بمعنى أن القراءة والحب فاعلهما واحد وهو المتكلم ، فأنا أقرأ ، وأنا أحب.

تنبيه:

إذا فقد المفعول لأجله شرطا من الشروط السابقة وجب حينئذ جره، مثال ما فقد المصدرية: سافرت إلى القاهرة للمعرض، فالمعرض سبب السفر إلى القاهرة، ولكنه ليس مصدرا، ومثال ما فقد الاتحاد في الزمان: انتظرتك للحضور غدا، فالحضورمصدر يبن سبب الانتظار، وهو متحد مع فعله في الفاعل، فالانتظار والحضورمن المتكلم، غير أن الحضور سيكون غدا في وقت غير وقت الانتظار، ومثال ما فقد الاتحاد في الفاعل: سررت لإكرامك الضيف، فإكرام مصدر يبين السبب، ومتحد مع الفعل في الزمن، غير أن فاعل سرّ هو تاء المتكلم، وفاعل إكرام الكاف ضمير المخاطب، الذي هو فاعل في المعنى، وهوالآن مضاف إليه، ورغم استيفاء المفعول لأجله للشروط كلها إلا أنه يجوز أن يأتي مجرورا، نحو: حضرت لتلبية دعوته.

نوع المصدر الذي يقع مفعولا لأجله:

ليست كل المصادر مناسبة لأن تكون مفاعيل له، ولكن من المصادر المناسبة ما كانت تعبر عن رغبة من القلب، أو عن شعوروإحساس، ومن هذه المصادر: اعترافا، وإباء، وحياء، وتفانيا،

وابتغاء، وخوفا، وطمعا، وحزنا، ورأفة، وشفقة، وإنكارا، واستحسانا، واطمئنانا، ورحمة، وإعجابا، ولا تأتي مثل هذه المصادر مفاعيل له لأنها ليست صادرة من القلب، وإنما صادرة من الجوارح، وهي: دراسة وقراءة، وكتابة، وإملاقا، وعلما، ووقوفا، ونحوها، فلا يصح أن نقول: سافرت إلى مصر علما، وإنما نقول: طلبا للعلم، أو للعلم.

العامل في المفعول لأجله:

يعمل في المفعول لأجله غير الفعل ما يشبه الفعل، وهو التالي:

١ . المصدر، نحو: الارتحال طلبا للعلم واجب.

٢- اسم الفاعل، نحو: محمد مسافر طلبا للعلم.

٣- اسم المفعول، نحو: أنت مغبون حسدا لك.

٤- صيغ المبالغة، نحو: أحمد شغوف بالعلم رغبة في التفوق.

٥ . اسم الفعل، نحو: حذار المنافقين تجنبا لنفاقهم.

أحكام المفعول لأجله الإعرابية:

١ . الأصل في المفعول لأجله النصب، ويجب نصبه إذا تجرد من " أل" التعريف، والإضافة، نحو: وقفت للمعلم إجلالا، وسافرت رغبة في الاستجمام، غير أن هذا النوع يجوز فيه الجر أيضا، نحو: سافرت للرغبة في الاستجمام.

٢- أن يكون معرفا بأل التعريف والأنسب فيه أن يكون مجرورا إذا سبق بحر الجر، نحو: حضرت للاطمئنان عليك، وذهبنا إلى الريف للاستجمام، ويجوز فيه النصب أيضا إذا تجرد من حرف الجر، فنقول: ذهبنا إلى الريف الاستجمامَ، ومنه قول الشاعر:

لا أقعدُ الجبنَ عن الهيجاء ولو توالت زمرُ الأعداء

٣ . أن يكون مضافا، وفيه يتساوى النصب والجر، نحو: تأني المتسابق في تلاوته خشية الوقوع في الخطأ.

رابعاً: المفعول معه

اسمٌ فضلة، لاَ يَقَعُ مُبْتَدَأً وَلاَ خَبَرَا – أَوْ مَا هُوَ في حُكمِهِما، وَيَجِيءُ بَعْدَ (واو) بِمَعْنَى (مَع) مَسْبُوقَةٍ بِجُمْلَةٍ فِيها فِعْلٌ، أَوْ ما يُشْبِهُ الفِعْلَ، وَتَدُلُّ (الواو) على اقْتِرَانِ الاسْمِ الذي بَعْدَهَا باسْمٍ آخَرَ قَبْلَهَا في زَمَنِ حُصولِ الفِعْلِ – الحَدَثِ – مَعَ مُشَارَكَةِ الثَّانِي لِلأَوْلِ في الحَدَثِ، أَو عَدَمِ مُشَارَكَتِهِ.

شروط نصب المفعول معه:

يُشْتَرَطُ في نَصْبِ ما بعدِ الواوِ على أنهُ مفعولٌ مَعَهُ، ثلاثةُ شروطٍ:

١– أن يكونَ فَضْلَةً – ليسَ رُكناً أساسيا في الكلامِ، مثلِ المبتدأِ والخبرِ، والفاعلِ والمفعولِ به، بل يجوزُ أن تتكون الجملة وتُفْهَمُ دونَ ذِكْرِهِ – أما عندما يكونُ الاسمُ الواقعُ بعد الواوِ، ركنًا أساسيا من الجملةِ، مثل: اشتركَ ابراهيمُ وماجدٌ، فلا يجوز نَصْبُهُ على المعيّةِ، بل يكونُ معطوفا على ما قَبْلَهُ، فتكونُ الواوُ حرفَ عطفٍ، وذلك لأنّ إبراهيمَ ، فاعل وهو رُكْنٌ أساسيٌّ في الكلامِ، لا تَصِحُّ الجملةُ بغيرِهِ، وما عُطِفَ عليه – ماجد – يُعامَلُ مُعامَلَتَهُ، لذا أفادت الواو معنى العطفِ، ولم تُفِدْ معنى المعيةِ.

٢– أن يكونَ ما بعد الواوِ جُمْلَةً ، وليسَ مفردا – غيرَ جملةٍ – فإن كانَ ما بعدها غيرُ جملةٍ، مثل: كلٌّ جنديٍّ وسلاحُهُ، يكونُ معطوفًا على ما قَبْلَهُ كل: وهي مبتدأ ويكونُ الخبرُ محذوفاً وجوباً بعد الواو التي

تعنيالعطفَ والاقترانَ، كما هو واردٌ في بابِ المبتدأِ والخبرِ، حيثُ التقديرُ كلُّجنديٍّ وسلاحُهُ مُقْتَرِنان .

٣- أن تكونَ الواوُ التي تَسْبِقُ المفعولَ مَعَهُ، تعني (مع(فإن كانت الواوُ دالةً على العطفِ، لعدمِ صِحّةِالمعيةِ، في مثل قولنا: جاءَ عمادٌ وسليمٌ قبلَه أو بَعْدَهُ، لم يكن ما بعدهامفعولاً معَهُ، لأنَّ الواوَ في الجملةِ لا تعني (مع)، والدليلُ على ذلك أننا لوقلنا: جاءَ عمادٌ مع سليمٍ قَبْلَهُ أو بعدَهُ، لكان المعنى فاسدا، وكذلك الأمرُ، إن كانت الواو دالةً على الحالِ، فلا يجوزُ أن يكونَ ما بعدها مفعولاً مَعَهُ، مثل قوله تعالى: "أو كالذي مَرّ على قريةٍ وهيخاويةٌ على عروشِهَا" ومثل قولِنا: نَزَلَ الشّتاءُ والشّمْسُ طَالِعَةٌ .

أَحْكَامه

١- النَّصْبُ، وَنَاصِبُه إما أن يَكون الفِعْلُ كما في الأمْثَلِةِ السَّابِقَةِ ومِثْل: سارَالرَّجُلُ وَالنَّهْرَ، وَأَمَا ما يُشْبِهُ الفِعْلَ كاسمِ الفاعلِ ... مِثْل: الظِلُّ مائلٌ والشَجَرَ، وكاسمِ المَفْعُول، مِثْلَ: الحَدِيقَةُ مَخْدومةٌ وشَجَرهَا، وكالمصدر، مثل: يَسُرني حُضُورُكَوالأُسرَةَ، وكاسم الفعل، مثل: رُوَيْدَكَ وَالسَّائِلَ = أَمْهِلْ نَفْسَكَ مَعَ السَّائِل.

٢- لا يجوزُ أن يتقدمَ المفعولُ مَعَهُ علىعامِلِهِ – الفعلِ وما يُشْبِهُهُ ، ولا على مُصَاحِبِهِ – فلا يُقَالُ : والنَّهْرَ سَارَ الرَّجُلُ ، كما لا يُقالُ : سارَ النَّهرُ والرَّجُلُ.

٣- لايجوزُ أن يُفْصَلَ بينهُ وبين (الواو) التي تعني (مع) أيُّ فاصِلٍ.

٤- إذا جاءَ بَعْدَهُ تابِعٌ، أو ضَمِيرٌ أو ما يحتاجُ إلى المطابقةِ ، وجَبَ أنيُراعَى عِنْدَ المطابَقَةِ الاسمُ قَبْلَ الواوِ وَحْدَهُ . مثل : كُنتُ أَنَاوَشَرِيكي كالأَخِ ، ولا يَصِحُّ أن يُقالَ: كالأخوين.

حالاتُ الاسم الواقعِ بعد الواو:

١- جوازُ عَطْفِهِ علىى الاسمِ السابقِ ، أو نَصْبِهِ على أنهُ مفعولٌ معه، والعطفُ أفضلُ، مثل: ساهَمَ الوالدُ والابنُ في العملِ التطوعيِّ، حيثُ يجوزُ في كلمةِ الابنِ الرفعُ بالعطفِ على الفاعلِ، أو النصبُ على أنها مفعولٌ معه، والعطفُ أحسنُ لأنّهُ أقوى في الدلالةِ على المشاركةِ.

٢ – جواز النَّصْبِ على المعيةِ ، معجوازِ العَطْفِ على ضَعْفٍ ، وذلك في حالتين :

الأولى: إذا تَرَتّبَ علىالعطفِ ضعفٌ في التركيب، كأن يُعطَفُ على الضميرِ المتصلِ المرفوعِ الظاهرِ أوالمستَتِرِ، من غَيرِ فصل بَيْنَهُ وبينَ الواوِ بالضميرِ المنفصل ، أو أيِّفاصلٍ آخَرَ، مثل : جِئْتُ وخالدٌ، واذهبْ وسليمٌ، فالعطفُ في هاتين الجملتين ضعيفٌ، لأنّ العطفَ فيهما، يقتضي أولاً: توكيدَ الضميرِ المتصلِ فيهما بضميررَفعْ مُنْفَصِلٍ قَبْلَ العطفِ، مثل: جِئْتُ أنا وخالدٌ، واذهب أنت وسليمٌ، لذا جازَ العطفُ فيهما، ولو على ضَعْفٍ، وجازَ اعتبارُ الاسمين الواقعين بعدالواو فيهما مفعولاً معهما، جئتُ وخالدًا، واذهبْ وسليماً .

الثانية: أن تكونَ المعيَّةُ هي المقصودةَ في الجملةِ الواردةِ فيها الواو، في مثلِ قولِنا: لا تَرْضَ بالسلامةِ والذُّلَ، إذ المقصودُ في الجملةِ ليس النهيَّ عن الأمرين: السلامةِ والذُّلِ كلٍ على انفرادٍ، بل التركيزُ مُنْصبٌ على النهيِّ عن اجتماعِهما معاً – المعية – لذا كان اعتبارُ ما

بعد الواو في الجملةِ مفعولاً مَعَهُ، ومع ذلك فالعطفُ مقبولٌ على ضعفٍ شديدٍ في الجملةِ .

٣–وجوبُ العطفِ، وامتناعُ المعِيَّةِ :

وهذا الأمرُ يُقرِّرهُ أمران الأول: المعنى المستفادُ من الفعلِ الوارد فيالجملةِ، فإنْ كانَ هذا الفِعْلُ يستلزمُ تَعَدُّدَ الأشخاصِ التي تشتركُ في معناهكانت الواو الواردة في الجملة دالة على العطف، ففي قولنا: تشاركَ التاجرُوالصانعُ، وتعاونَ البائعُ والشاري، فالفعلان "تشاركَ وتَعاونَ" يقتضيان اشتراكَ أكثرَ من اثنين في معنى كلٍ منهما، وهذا يتحققُ بالعطفِ لا بالمعية، والأمْر الثاني الذي يُقرِّرُ أنّ الواوَ للعطفِ أو للمعيةِ، هو استقامةُ وصِحةُ المعنى الوارد في الجملةِ، ففي مثل قولِنا: أَشْرَقَ القمرُ وسُهيلٌ – اسمنجم – قبلَهُ ، لا يَصِحُّ أنْ تكونَ الواو في الجملةِ بمعنى (مع)، حيث لا يُفهمُكيفَ يُشرقُ القمرُ مَعَ سُهيلٍ قَبْلَهُ ! لذا تعيّنَ أن تكونَ الواو للعطفِ، لاللمعيةِ.

٤– امتناعُ العطفِ ووجوبُ النّصْبِ: بمعنى أنهلا يجوزُ العطفُ، إذا تَرَتَّبَ على العطفِ فسادٌ في المعنى، مثل: سافَرَ الرجلُ والليلُ، ومثل مشى المسافرُ والصحراءُ، حيثُ يكون ما بعدالواو مفعولاً معه، ولا يجوز أن يكونَ معطوفاً على ما قَبْلَهُ لِعَدَمِ استقامةِ المعنى، وكونِهِ أمراً معقولاً، لذا نقول سافر الرجلُ والليلَ، ومشى المسافرُ والصحراءَ .

خامساً: المفعول فيه

هو اسم منصوب يبين مكان أو زمان الفعل أي إنها تدل على "أين" أو "متى" وقع الفعل، إذا دلَّ المفعول فيه على مكان حدوث الشيء فإنه يسمي ظرف مكان (وقفت إيمان وراءَ ليلى) وراء: ظرف

مكان منصوب بالفتحة) أو إذا دلَّ المفعول فيه على زمن حدوث الفعل فإنه يسمى ظرف زمان (سأغيب شهرًا، شهرًا: ظرف زمان منصوب بالفتحة)، وهناك نوعان من ظروف الزمان أو المكان: نوع متصرف (أي تستعمل كظرف أو غيره)، مثل: يوم ، ليل، ساعة، شهر، مساء، برهة وغيرها، وهذه الظروف من الممكن أن تستعمل ظرفًا للدلالة على مكان أو زمان وقوع الفعل وتعرب كمفعول فيه منصوب: سأغيب شهرًا، مشيت كيلومترًا، وتستعمل أيضًا غير ظرف وتعرب حسب وقوعها بالجملة: يوم السبت يناسبني (يوم: مبتدأ مرفوع بالضمة)، أو هذا من عندي (عندي: ظرف مكان مجرور)، وهناك بعض الظروف التي لا يتغير آخره مع تغيير وقوعه بالجملة أي هي مبنية ومنها: الآنَ، حيثُ، أمسِ، الآنَ، إذْ، إذا، أينْ، ثَمَّ، والاسم الذي يأتي بعد الظرف يكون دائمًا مضافًا إليه مجرورًا، وإذا دخلت "ما" على بعض الظروف تكون زائدة ولا تؤثر على عملها أو إعرابها، ويجوز إضافة "ياء" مشددة إلى أسماء الجهات الأربع: شماليّ، جنوبيّ، غربيّ أو شرقيّ.

****

رابعاً: الاستثناء

الاستثناء في اللغة العربية هو أحد المنصوبات، وهو إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها، أي إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه، نحو قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ}، فالاسم المستثنى هو "إبليس" الذي وقع بعد أداة الاستثناء "إلا" فخالف في حكمه حكم المستثنى منه "الملائكة"، وللاستثناء ثلاثة أركان: المستثنى وهو سم ظاهر أوضمير أومصدر مؤوّل، ويقع بعد الأداة مباشرة، ولا يمكن حذفه، مثل: "إبليس"، والمستثنى منه وهو اسم، ويكون قبل الأداة، ويمكن حذفه، مثل: "الملائكة"، والأداة مثل: "إلّا"، والأدوات ثلاثة أقسام: حروف: "إلّا"، وأسماء: "غير، سوى"، وأفعال: "خلا، حاشا، عدا"، وتفصيل أركان جملة الاستثناء تاليًا. أركان الاستثناء ممَّ يتألّف أسلوب الاستثناء؟ إنّ مفاد الاستثناء هو إخراج ما بعد إلّا –أو إحدى أخواتها– عن حكم ما قبلها، وتبعًا لذلك فإنّ لأسلوب.

الاستثناء ثلاثة أركان:

المستثنى:

وهو الاسم المُخرج عن حكم ما قبله وهو الذي يأتي بعد إلّا، وهذا الاسم إمّا يكون"متَّصلًا" وذلك إذا كان المُستثنى من جنس المُستثنى منه، مثال: حضر الطلابُ إلّا أحمد، فـ"أحمد" من جنس المستثنى منه "الطلاب"، وإمّا أن يكون "منقطعًا" وذلك إذا كان المستثنى من جنس ما استُثْنِيَ منه، مثال: احترق المنزل إلّا الكتب، فالمستثنى هنا "الكتب" ليس من جنس المُستثنى منه ولكن المشترك بينهما هو الحكم "احترق".

المستثنى منه:

وهو الاسم الذي يقع قبل إلّا ويشتمل في معناه على ما بعدها، وهذا الاسم لا يكون إلّا معرفةً، مثل: نجح الطلاب إلّا طالبًا، فـ"الطلاب" معرفة، أو أن يكون نكرة مفيدة، وذلك في مثل: ما جاء أحدٌ إلّا سعيدًا.

الأداة:

وهذه الأداة هي التي بوساطتها يُستثنى الاسم الذي بعدها ممّا قبلها، وقد تكون حرفًا وقد تكون اسمًا وقد تكون فعلًا. أدوات الاستثناء إنّ أدوات الاستثناء متنوّعة بين حرفٍ واسمٍ وفعلٍ وهي: الحروف وهي "إلّا"، وللاسم بعدها أحكام، حيث يختلف إعراب الاسم بعد "إلّا" بحسب نوع الاستثناء المستخدم في الجملة، وسيأتي تفصيل أحكامها في فقرة أحكام الاستثناء بـ إلّا.

الأسماء:

وهي "غير وسوى"، وهذه الأسماء تأخذ حكم الاسم الذي يلي "إلّا" في الإعراب، ويُعرب الاسم الذي يليها مضافًا إليه مجرور، وتكون منصوبة على الاستثناء إذا كان الاستثناء تامًّا مُثبتًا، مثال: جاء الطلابُ غيرَ سعيدٍ، فـ"غير" مستثنى بإلّا منصوب، و"سعيد" مضاف إليه مجرور، وإذا كان تامًّا منفيًّا إمّا أن تُعرب مستثنى، وإمّا أن تُعرب بحسب موقعها، مثال: ما جاء الطلاب غيرَ أو غيرُ سعيد، فـ"غير" بالنصب مستثنى بإلا منصوب، وبالرفع بدل من الطلاب مرفوع.

الأفعال:

وهي "خلا وعدا وحاشا" والاسم بعدها إمّا أن يكون منصوبًا على أنّه مفعول به إذا اعتبرَتْ أفعالًا، وإمّا أن يكون الاسم بعدها مجرورًا

لفظًا منصوبًا محلًّا على الاستثناء إذا اعتبرَتْ الأدوات السابقة حروف جرٍّ، وذلك في مثل: حضر القوم عدا محمدًا أو محمدٍ، فـ"محمدًا" مفعول به منصوب "إذا اعتُبِرَ عدا فعل"، و"محمدٍ" اسم مجرور لفظًا منصوب محلًّا على الاستثناء "إذا اعتُبِرَ عدا حرف جر"، وإن سبقت هذه الأفعال بـ"ما" توجّبَ النصبُ، مثال: حضر القوم ما عدا عليًّا، فـ"عليًّا" مفعول به منصوب.

ومن الأفعال التي تُفيد الاستثناء أيضًا "ليس" و"لا يكون"، فقد يأتيان بمعنى إلا فيستثنى بهما، وذلك مثل: جاء الطلاب ليس زيدًا، أو لا يكون زيدًا، وهنا يكون اسم الفعل الناقص ضميرًا مستترًا وجوبًا تقديره "هو" والخبر هو الاسم المنصوب الذي يليه، فـ"زيدًا" خبر منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة، وقد أخرج بعض العلماء هذه الأفعال عن فعليّتها إلى الحرفية تشبيهًا بـ"إلّا"، وعلى هذا القول يكون الاسم الذي يليها ليس خبرًا أو مفعولًا به وإنّما مُستثنى منصوب.

أنواع الاستثناء:

الاستثناء التّامّ المثبت: وهو ما توفّر فيه المستثنى والمستثنى منه، ولم يكن مسبوق بنفي أو شبهه كـ "النّهي أو الاستفهام"، والاسم بعد إلّا "مستثنى بإلّا منصوب" وهو على نوعين:

-الاستثناء المتّصل: ويكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه سواء كان الكلام مثبتًا أم منفيًّا، مثل قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}، ومثل: "ما فاز اللّاعبون إلّا خالدًا".

-**الاستثناء المنقطع:** وهو الذي يكون فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه، مثل قوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ*إِلاَّ إِبْلِيسَ}، ومثل: "حضر المسافرون إلّا أمتعتهم".

-**الاستثناء التّامّ المنفي:** وهو ما توفّر فيه المستثنى والمستثنى منه، ولكنّه سبق بنفي أو شبهه، والاسم بعد إلّا إمّا بدل من المستثنى منه و "إلّا" أداة حصر، أو مستثنى بإلّا منصوب، و"إلّا" أداة استثناء.

-**الاستثناء المفرّغ:** وهو الاستثناء النّاقص المنفيّ، أي الذي حذف منه المستثنى منه والمسبوق بنفي أو شبهه"، مثل قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}، فـ "إلّا" هنا أداة حصر، وما بعدها يعرب وكأنّ إلّا غير موجودة، بحسب موقعه في الجملة.

أحكام الاستثناء:

إنّ للاستثناء أحكامًا خاصّة تختلف باختلاف الأداة المستخدمة في الجملة، وتفصيل ذلك تاليًا. أحكام الاستثناء بـ إلا كيف يُعرب الاسم الواقع بعد إلّا؟ للاستثناء بـ "إلّا" أحكام وتكون هذه الأحكام تبعًا لنوع الاستثناء: فإذا كان الاستثناء تام الأركان مثبتًا: أُعرب الاسم بعد إلّا مستثنى بإلّا منصوب، ويندرج تحت هذا النوع الاستثناء المتّصل والاستثناء المنقطع، وذلك مثل: جاء الطلاب إلى الرحلة إلّا زيدًا، فالمستثنى "زيد" والمستثنى منه "الطلاب" والأداة "إلّا" فالأسلوب تام ولم يسبق بنفي فإعراب "زيدًا": مستثنى بإلّا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. إذا كان الاستثناء تام الأركان منفيًا: جاز في الاسم بعد إلّا أن يُعرب إمّا مستثنى بإلّا منصوب أو بحسب موقعه من الكلام، مثل: ما جاء الطلاب إلّا زيدًا أو زيدٌ، فالمستثنى "زيد" والمستثنى منه "الطلاب"

والأداة "إلّا" فالأسلوب تامّ ولكنّه سُبق بنفي فإعراب "زيد": إمّا مستثنى بإلا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أو بدل من الطلاب مرفوع وعلامة رفعه الضمة، إذا كان الاستثناء ناقصًا منفيًّا: يُعرب الاسم بعد إلّا بحسب موقعه من الإعراب فقط، مثال: ما جاء إلّا زيدٌ، فالمستثنى "زيد" والمستثنى منه "محذوف" والأداة "إلّا" فالأسلوب تام وقد سبق بنفي فإعراب ما جاء إلا زيد هو أنّ زيد: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضّمة الظاهرة. أحكام الاستثناء بـ غير وسوى استكمالًا لبحث الاستثناء في اللغة العربية، فإنّ أنواع الاستثناء بـ "غير وسوى" هي نفسها أنواع الاستثناء بـ "إلّا"؛ فـ "غير وسوى" اسمان يردان للاستثناء، وملازمان للإضافة، أي ما بعدهما مضاف إليه، ولذلك تكون كلّ من "غير و سوى" هي المستثنى في الإعراب، أي تعرب إعراب الاسم بعد إلّا،

أنواع الاستثناء بهما هي:

-**التّامّ المثبت:** مثل: "جاء الطّلابُ غيرَ خالدٍ"، غيرَ: منصوب على الاستثناء، لأنّ الكلام تامّ مثبت.

-**التّام المنفيّ:** مثل: "ما جاء الطّلّاب غيرُ خالدٍ أو غيرَ خالدٍ"، برفع غير على أنّها بدل من الطّلاب، وبنصبها على الاستثناء، لأنّ الكلام تامّ منفيّ. المفرّغ: مثل: "ما حضرَ سوى طالبينِ"، و"ما رأيتُ سوى طالبينِ"، و"لم أنظرْ إلى سواهما"، جاءت "سوى" في المثال الأوّل سوى فاعلًا، وفي الثّاني مفعولًا به"، وفي الثّالث اسمًا مجرورًا، لأنّها وقعت في استثناء ناقص منفيّ.

أحكام الاستثناء بـ خلا وعدا وحاشا:

وكذلك من ضمن بحث الاستثناء في اللغة العربية، الاستثناء بكلّ من الأفعال "خلا وعدا وحاشا"، فقد وردت هذه الكلمات في أسلوب الاستثناء في اللغة العربية، حيث ضمنت معنى "إلّا" الاستثنائيّة، فاستثني بها كما يستثنى بإلّا، ويجوز في الاسم بعدها النّصب والجرّ، فالنّصب على أنّها أفعال ماضية، والجرّ على أنّها حروف جرّ شبيهة بالزّائد، مثل: "أقبلَ الرّجالُ خلا عليًّا أو عليٍّ"، فإنّ النّصب بـ "خلا وعدا" كثير والجرّ بهما قليل، والنّصب بـ "حاشا" قليل والجرّ بها كثير، وفي استعمالها نوعان:

الأوّل: تستعمل فيه "خلا، عدا، حاشا" أفعالًا ماضية، وذلك عندما تسبق بـ "ما" المصدريّة على خلاف فيها، ففاعل هذه الأفعال ضمير مستتر وجوبًا، والاسم المنصوب بعدها مفعول به منصوب، يجوز فيه الجرّ، مثل: "يجوع النّاسُ ما عدا الأغنياءَ"، ما: مصدريّة، عدا فعل ماض للاستثناء، وفاعله ضمير مستتر وجوبًا "هو"، الأغنياء: مفعول به منصوب.

الثّاني: ويجوز في هذا النّوع إعراب "خلا عدا حاشا" على وجهين، بحيث أن لا تكون مسبوقة بـ "ما" المصدريّة: الوجه الأوّل: أن تعرب أفعالًا ماضية، وفاعلها ضمير مستتر وجوبًا "هو"، والاسم الذي بعدها مفعول به منصوب، مثل: نجا المهاجرون عدا اثنينِ، عدا: فعل ماض للاستثناء، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا "هو"، اثنين: مفعول به منصوب. الوجه الثّاني: أن تعرب حروف جرّ، والاسم الذي بعدها اسم مجرور، مثل: "وصل المتسابقون عدا المتأخرين"، عدا: حرف جر، المتأخرين: اسم مجرور. أمثلة على الاستثناء مع الإعراب لقد ورد

أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم وفي الشعر وفي كلام العرب كافّةً ومن ذلك ما يأتي.

أمثلة على الاستثناء من القرآن الكريم

ورد الاستثناء كثيرًا في آيات القرآن الكريم، ومن أسلوب الاستثناء في القرآن: قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}، إلّا: أداة حصر، ساعةً: مفعول فيه ظرف زمان منصوب، قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}، إلّا: أداة حصر أنفسَهم: مفعول به منصوب، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}، إلّا: أداة استثناء، خمسين: مُستثنى بإلّا منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكّر السالم. قال تعالى: {وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}، إلّا: أداة حصر، زانٍ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لأنّه اسم منقوص.

قال تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}، الشّاهد في الآية الكريمة ورود أسلوب الاستثناء بإلّا المفرّغ أي النّاقص المنفي، نفسًا: مفعول به أوّل منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة، إلّا: أداة حصر، وسعها: وسعَ: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة، الهاء: ضمير متّصل مبنيّ على السّكون في محلّ جرّ مضافًا إليه.

أمثلة على الاستثناء من الشعر:

أمثلة:

ومن الأمثلة الشعرية على الاستثناء والمستثنى، ما يلى:

رأيتُ النَّاسَ ما حَاشَا قُرَيْشًا ** فإنَّا نَحنُ أفْضَلُهُم فَعَالا حاشا

فعل ماضٍ بمعنى "إلّا" مبني على الفتح، قريشًا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح الظاهرة على آخره.

فما وجَدْتُ بها شيئاً ألوذُ به ** إلاّ الثُّمامَ وإلاّ مَوْقِدَ النّارِ

إلّا: أداة استثناء، الثُّمامَ: إما مستثنى بإلّا منصوب أو بدل من شيئًا منصوب، وليسَ للمجدِ مأوى غيرَ ساحتِهم **كالنّومِ ليسَ له مأوى سوى المقلِ، مأوى: اسم ليس مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة المقدّرة على الألف للتعذّر، غيرَ، سوى: مستثنى بإلّا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظّاهرة على آخر "غير"، والمقدّرة على ألف "سوى"، غيرَ، سوى: بدل من مأوى، مرفوع وعلامة رفعه الضّمّة....

ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللّهُ باطِلُ ** وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائِلِ

ما خلا: ما: مصدرية، خلا: فعل ماض جامد للاستثناء، والفاعل: ضمير مستتر وجوبًا "هو"، الله: اسم الجلالة مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، جمل عن الاستثناء من الجمل المتفرقة من الكلام العادي عن الاستثناء والمستثنى: انقضى الصّيف إلّا يومين إلّا: أداة استثناء، يومين: مستثنى بإلا منصوب وعلامة نصبه الياء لأنّه مثنّى والنون عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد، لا يسدي النصيحة إلا المخلصون إلّا: أداة حصر، المخلصون: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنّه جمع مذكّر سالم. اتّقدت المصابيح غيرَ واحدةٍ غيرَ: مستثنى بإلا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، واحدة: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة، لا ينال المجد غيرُ العاملين غيرُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. العاملين: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الياء لأنه جمع مذكّر سالم.

خامساً: الحال

الحال لغةً: هو الوقت الذي يكون فيه الإنسان الآن، وما ينطوي عليه من خير أو شر، وأمّا اصطلاحًا: فهو اسمٌ منصوبٌ فضلةٌ، مشتقٌ أو جامد مؤوّلٌ بمشتق، يعود على اسم معرفة يسبقه فيصفه ويذكر هيئته، ويُطلَقُ على هذا الاسم المعرفة صاحب الحال، ولو أُنعِمَ النّظر في دلائل هذا التّعريف لوُجِدَ فيه أنّ قول علماء النحو عن الحال إنّه اسمٌ "فضلة" يعني أنّه ليس من المكوّنات الأساسيّة للجملة، فهو ليس مسندًا ولا مسندًا إليه، ولكن هذا لا يعني أنّه من الممكن الاستغناء عنه، ففي بعض الجمل قد يكون وجود الحال ضروريًّا جدًّا، أمّا في قولهم "مشتق" فهو أن يكون الحال من المشتقّات كنحو قولهم: "عاد الجّنديّ منتصرًا" و"شكرَ التلميذُ المعلّمَ مُمتنًّا"، فإنّ الحالين "منتصرًا وممتنًّا" اسمان مشتقّان.

وأمّا قولهم "جامد مؤوّل بمشتق" فتوضيحه في المثال التالي: "قاتل الجنديُّ الأعداء أسدًا"؛ فمعنى الجملة هنا أنّ الجنديّ قويٌّ كالأسد، وأمّا قولهم "يعود على اسم معرفة ويُطلَقُ على هذا الاسم المعرفة صاحب الحال"، فيعني أنّ الحال يصف اسمًا معرفةً، وهذا الاسم يُطلَق عليه صاحب الحال، فمثلًا "جاء زيدٌ ضاحكًا" فإنّ الحال "ضاحكًا" تعود على اسم معرفة، وهو "زيد"، فاسم زيد هنا يُسمّى صاحب الحال، وقد يخلط بعض الدارسين بين الحال والصفة في بعض المواقع، ولعلّ الفرق بين الحال والصفة يمكن أن يتّضح إن علِمَ الدّارس أنّ من وظائف الحال أن تبيّن هيئة صاحب الحال، بينما الصفة لا تبيّنها، وأنّ الحال

منصوبة بينما الصفة تتبع الموصوف في الإعراب، وكذلك الحال تكون نكرة بينما الصفة أيضًا تتبع الموصوف في التعريف والتنكير.

أنواع الحال:

ما الهيئات المعروفة للحال؟ للحال أربعة أنواع:

-**الحال المبيّن للهيئة:** وهذه الحال لا يظهرُ معناها في الكلام إلّا إذا ذُكِرَتْ، كقولهم مثلًا: جاء الطّفلُ ضاحكًا، فلو حُذِفَتْ الحال في المثال السّابق لما ظهرَ معناها الّذي أفادتْهُ في الجّملة.

-**الحال المؤكّدة لعاملها:** وهي التي وإن لم تُذكر فإنّ عاملها يفيد معناها، كقولهم: أقبل الرجلُ آتيًا، أو: تكلّم الرجلُ متحدّثًا، ولو حُذِفَتْ الحال "آتيًا" و"متحدّثًا" من الجّملتين لأفاد العامل فيهما "أقبل وتكلّم" المعنى ذاته الّذي أدّاه الحال.

-**الحال المؤكّدة لصاحبها:** وهذه الحال يظهر معناها في قول صاحبها، كقولهم مثلًا: أقبل الطّلاب كافّةً، فلو حُذِفَت الحال "كافّة" لأفاد القول قبلها "أقبل الطّلاب" المعنى ذاته الّذي أدّاه الحال.

-**الحال المؤكّدة لمضمون الجّملة:** وهذا النوع يأتي بعد جملةٍ مؤلّفةٍ من اسمين جامدين معرّفين، كقولهم: غيثٌ أبوه كريمًا، فنظرة واحدة في هذه الجملة ستُفيد أنّ الحال "كريمًا" قد سُبِقَت بِاسمَين جامِدَين مُعرَّفَين "غيث وأبوه".

الحال المفردة:

للحال المفردة شروط عدّة منها:

-الانتقال: وذلك يعني ألّا تكون الحال وصفًا ثابتًا بل مؤقّتًا، فعندما يُقال: رأى الرجلُ الشّمسَ ساطعةً؛ فإنّ الحال هنا ليست ثابتة بل مؤقّتة،

ولكن قد تكون ثابتةً، فيذكر النحاة أمثلة عن الحال من القرآن الكريم عن الحال الثابتة كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا}، فمعنى كلمة {مُفَصَّلًا}: مبيِّنًا وموضِّحًا، وهي صفةٌ ثابتةٌ لكتاب الله جلّ وعلا.

-أن تكون الحال نكرةً لا معرفةً: ولكن قد تأتي معرفة إذا صحَّ تأويلها بنكرة، ومثل ذلك قولهم: أجيبوا الأوّل فالأوّل فالتقدير هنا "أجيبوا مرتّبين".

-أن تكون مشتقّةً لا جامدةً: وقد تأتي اسمًا جامدًا إذا أمكن تأويله بمشتق وذلك في ثلاث حالاتٍ: أن تدلّ على تشبيهٍ: نحو: ظهرتْ الحقيقة بدرًا، فالتّأويل هنا: "مضيئةً".

-أن تدلّ على مفاعلة: نحو: قابلَهَ وجهًا لوجه؛ أي: "متواجهين".

-أن تدلّ على ترتيب: نحو: قلّبَ الدّفتر صفحةً صفحة؛ أي: "مترتِّبًا".

-أن تكون الحال هي نفس صاحبها: وذلك نحو قولهم: جاء زيدٌ ضاحكًا، فإنّ الحال هنا هي نفس صاحبها، وقد تتعدّد الحال في الجملة وصاحبها واحدٌ، نحو: جاء أحمدٌ ضاحكًا مستبشرًا، وقد تتعدّد الحالُ وصاحبُها معًا، نحو قولهم: جاء أحمدٌ وليثٌ ضاحِكَين، وقد تتعدّد بألفاظٍ مختلفةٍ ويتعدّد صاحبها، كنحو قولهم: جاء أحمدٌ وليثٌ ضاحِكَين متفائلَين.

الحال الجملة الاسمية:

ما هي شروط الحال الجملة الاسمية؟ من أشكال الحال وهيئاتها أن تأتي جملةً اسميّةً يمكن تأويلها باسمٍ مفردٍ، وذلك كقولهم مثلا: جاء زيدٌ وجههُ ضحوكٌ؛ فإنّ جملة وجهه ضحوكٌ قد حلّت مكان الحال، فإذا

ما أُريدَ تأويلها باسمٍ مفردٍ تصبح الجملة: جاء زيدٌ ضاحكًا وجهه، وللجملة الاسميّة التي تقع حالًا بشروط:

-أن تكون الجّملة خبريّة: فلا تكون الجملة إنشائيّة، وهي التي تحوي طلبًا أو نهيًا، مثال: وجهُه ضحوكٌ جملة خبريّة.

-أن تشتمل جملة الحال على رابطٍ يربطها بصاحب الحال: وهذا الرّابط إمّا أن يكون ضميرًا "ظاهرًا أو مستترًا"، وإمّا أن تكون الواو الحاليّة، وإمّا الضّمير والواو معًا، فمثلًا لو قال قائل: وصل الطّفلُ دموعه تنهمر، فجملة الحال هنا هي: دموعه تنهمر، وصاحب الحال هو الطفل، والرابط بينهما هو الضمير، وهو هنا "هاء الغائب"، وكذلك لو قالوا: خرجْتُ إلى صديقي واللّيلُ قد حلّ، فإنّ جملة الحال هي: واللّيل قد حلّ، وصاحب الحال هو الضمير "تاء الرفع"، والرّابط بينهما هو: "الواو الحاليّة"، وكذلك لو قالوا: دخل الرجل وهو مبتسمٌ، فإنّ جملة الحال هي: وهو مبتسمٌ، وصاحب الحال هو: "الرجل"، والرّابط بينهما الضّمير والواو معًا.

الحال الجملة الفعلية:

ما هي الحال الجملة الفعليّة وما هي شروطها؟ لقد ذكر النحاة أمثلة على حال جملة فعلية قد جاءت في كلام العرب، وذلك يعني أنّ من هيئات الحال أن تأتي جملة فعليّة يمكن تأويلها باسمٍ مفردٍ أيضًا، وذلك كنحو قولهم: جاء زيدٌ يضحك، فإنّ جملة "يضحك" جملة فعليّة حاليّة، فإذا أُوّلَت باسمٍ مفردٍ تصبح "جاء زيدٌ ضاحكًا"، أمّا شروط الجملة الفعليّة الحالية فهي ثلاثة شروط:

-أن تكون جملةً خبريّةً: وجملة "يضحك" في المثال السابق -مثلًا- هي جملة خبريّة.

-ألّا تُسبق بتسويفٍ: أي ألّا تكون الجملة الفعلية تبدأ بسوف أو سين التسويف.

-أن يكون بينها وبين صاحب الحال رابطٌ يربطها به: وهنا يكون الرّابط ضميرًا فقط، ففي قولهم: رأيتُ العصفورَ يغرّدُ، فإنّ جملة الحال هي: يغرّد وصاحب الحال هو: العصفور، وأمّا الرّابط بينهما فهو ضميرٌ مستترٌ تقديره "هو".

الحال شبه الجملة:

متى يكون الحال شبه جملة؟ تأتي الحال شبه الجملة عندما يحلُّ الجّار والمجرور أو ظرف الزمان والمكان مكانَ الحال، ويحذف الحال من الجّملة، وفي هذه الحالة تُعلّق شبه الجّملة بتلك الحال المحذوفة، ومثال ذلك: "رأتْ الطّفلةُ العصفورَ فوق الشجرة" فشبه الجملة "فوق الشّجرة" متعلّقة بحال محذوفة تقديرها "مستقرًّا أو موجودًا"، فتصبح الجملة حينئذٍ: رأتْ الطفلة العصفور مُستقرًّا فوق الشجرة، وممّا سبق، يظهر أنّ الحال اسمٌ منصوبٌ يبيّن هيئة اسمٍ معرفةٍ قبله، وقد يكون هذا الحال مفردًا وقد يكون جملةً لهما شروط معيّنة، وقد تكون الحال أيضًا محذوفةً تتعلّق بها.

****

سادساً: التمييز

تعريف التمييز هل يأتي التمييز معرفة؟ للنّحاة في تعريف التمييز عبارات كثيرة يُستخلص منها القول إنّه اسمٌ نكرةٌ جامدٌ، وهو غالبًا ما يكون مُفسّرًا لمُبهمٍ قبله نحو قولهم: جاء عشرون رجُلًا، أو يُوضّح نسبةً كقولهم: فلانٌ أكثر من فلان خبرةً، فالتمييز إذًا نكرة ولا يأتي معرفة.

أنواع التمييز:

إنّ أنواع التمييز في اللغة العربية تقتصر على نوعين كما نصّ على ذلك علماء اللغة العربية، وهما التمييز المفسّر للمفرد، والتمييز المفسر للنسبة، وتمييز الذات تمييز الذات أو تمييز المفرد بلغة العلماء القدامى، وهو أن يأتي التمييز ليُفسّر مُبهمًا قبله لولا وجود التمييز لاحتمَلَ أن يكون أشياء أخرى، وهذا التمييز يقع بعد أمور، منها:

-**تمييز المقادير:** ويأتي التمييز هنا بعد المقادير، فيمكن تسميته تمييز المقادير، والمقادير هي المساحة والوزن والكَيلُ، فمثال المساحة قولهم: اشتريتُ قصَبَةً أرضًا، ومثال الكيل قولهم: اشتريتُ رطلًا قمحًا، ومثال الوزن قولهم: اشتريتُ مَنًّا عسلًا.

-**تمييز الأعداد:** ويقع التمييز بعد الأعداد من ١١ إلى ٩٩، كقوله تعالى: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا}،[٤]، فكوكبًا هنا هي التمييز.

-**تمييز كم الاستفهاميّة:** وهذا النوع من التمييز يندرج حقيقة تحت النوع السابق الذي هو تمييز الأعداد، ولكن قد أُفرِدَ وحده لسهولة التقسيم، وكم في العربيّة هي كناية عن عدد مجهول من حيث الجنس والمقدار،

فلذلك ساغ أن يأتي بعدها تمييزٌ مُفردٌ منصوب كقولهم: كم عبدًا لديك، وكم دارًا بنيتَ.

-**التمييز الدال على مماثلة:** وهنا يأتي التمييز بعد ما يدلّ على المماثلة، كقوله تعالى: {وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}، وقولهم: إنّ لنا أمثالها إبلًا، فمددًا وإبلًا هي التمييز.

-**التمييز الدال على المغايرة:** وهنا يأتي التمييز بعد ما يدلّ على المغايرة مثل قولهم: إنّ لنا غيرها شاءً، فشاءً هنا هي التمييز، وينبغي الانتباه إلى أنّ تمييز الذات أو التمييز المفرد يمكن له أن يتعدّد، فإذا تعدّدَ فالأحسن هو العطف بين التمييز المتعدّد، ولكن إن كان التمييز مختلفًا فإنّه يجوز حينها التّعدّد بالعطف وبغير العطف، ومثال على ذلك قولهم: اشتريتُ رطلًا عسلًا سمنًا، أو اشتريتُ رطلًا عسلًا وسمنًا.

ولكن كيف نفرق بين التمييز والمضاف إليه؟ قد يبدو السؤال للوهلة الأولى لا معنى له كون التمييز منصوبًا والمضاف إليه مجرورًا، ولكن للسّؤال قيمةً إن عُلِمَ أنّ بعض أشكال المضاف إليه هي من حيث المعنى تمييز، فقد قال بعض علماء النحو إنّ التمييز إن كان للمقادير فإنّه يجوز فيه أن يُجَر تمييزُه ويُعربُ مُضافًا إليه وإن كان الأحسن جرّه، فمثلًا يمكن القول: اشتريتُ صاعًا قمحًا، ويجوز أن يُقال: اشتريتُ صاعَ قمحٍ، وكذلك يمكن القول: امتلكتُ دينارًا ذهبًا وأيضًا يجوز هنا أن يُقال: امتلكتُ دينارَ ذهبٍ، وكذلك تمييز الأعداد من ٣ إلى ١٠ يأتي مجرورًا وجوبًا على أنّه مُضاف إليه، كقولهم: جاء ثلاثةُ رجالٍ، ورأيتُ خمسَ نسوةٍ، وقرأتُ سبعةَ كتبٍ، وغير ذلك، وأيضًا إن كان العدد دالًّا على المئة أو المئات بعدها إلى العدد ٩٠٠، أو إن كان العدد دالًّا على

١٠٠٠ أو الألوف التي تليها فإنّ تمييزه يُجرُّ وجوبًا كذلك، ومن ذلك قولهم: مئةُ رجلٍ، أو مئتا رجلٍ أو خمسمئة رجلٍ ونحوها من المئات، أو قولهم: ألف رجلٍ، أو ألفا رجلٍ، أو مئة ألف رجلٍ ونحو ذلك.

تمييز النسبة:

يُقسم تمييز النسبة قسمان: تمييز مُحوّل، وتمييز غيرُ محوّلٍ، وتفصيل الأمر، كما يلى:

-**التمييز المحوّل يُقسم إلى:** تمييز مُحوّل عن فاعل: نحو قوله تعالى: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}، فالتقدير: اشتعل شيبُ الرأس، ونحو قولهم: ازداد زيدٌ علمًا، والتقدير: ازداد علمُ زيدٍ، وتمييز مُحوّل عن مفعول به: ومنه قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا}، والتقدير: وفجّرنا عيونَ الأرضِ، وتمييز محول عن مبتدأ: ومنه قوله تعالى: {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا}، والتقدير: مالي أكثر من مالك، أمّا التمييز غير المُحوّل: فهو قليلٌ في اللغة، وهو مثل قولهم: امتلأ الإناءُ ماءً، وقول العرب: لله درّه فارسًا، ويُسمّي بعض النحاة هذا التمييز المبيّن للنسبة التمييز الملحوظ، فالنحاة عندهم التمييز الملفوظ والملحوظ، وأمّا الملفوظ هو ما كان بعد الكيل والوزن والمساحة والعدد.

الفرق بين الحال والتمييز

ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحال والتمييز؟ إنّ التمييز والحال يشتركان في بعض الصفات التي تجعل التمييز بينهما صعبًا على بعض الدّارسين، ولكن هنالك مواضع يفترقان فيها يمكن لها أن تميّزهما عن بعضهما بعضًا، فممّا يتّفقان فيه: كلاهما اسم، وكلاهما نكرة، كلاهما فضلة، وكلاهما منصوب، وكلاهما يفسّر ما قبله.

والفرق بينهما أنّ:

الحال يفسّر الهيئات المبهمة، بينما التمييز يفسّر الذوات المبهمة. الحال يأتي اسمًا وجملة وشبه جملة "الظروف والجار والمجرور"، والتمييز لا يأتي إلّا اسمًا، والحال مشتقّ والتمييز جامد في أغلب الحالات، والحال يتقدّم على عامله والتمييز لا يتقدّم إلّا نادرًا.

أمثلة على التمييز مع الإعراب:

-**التمييز بعد الكيل:** مثل قولهم: اشتريتُ صاعًا قمحًا، فقمحًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد الوزن:** مثل قولهم: اشتريتُ منًّا عنبًا، فعنبًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد المساحة:** مثل قولهم: اشتريتُ قصبةً أرضًا، فأرضًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد الأعداد من ١١ إلى ٩٩:** مثل قولهم: شاهدتُ أحدَ عشرَ طالبًا، أو رأيتُ خمسة عشرَ رجلًا، أو اشتريتُ تسعًا وتسعينَ نعجةً، فكلمات طالبًا ورجلًا ونعجةً إعرابها: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز المحول عن فاعل:** مثل قولهم: ازداد زيدٌ علمًا، وقولهم: زيدٌ أفضل من عليّ علمًا، فعلمًا في المثالين: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز المحول عن مفعول به:** مثل قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا}، فعيونًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز المحول عن مبتدأ:** مثل قوله تعالى: {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا}، فمالًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز غير المحول:** مثل قولهم: امتلأ الإناء ماءً، وقولهم: لله درّه فارسًا، وقولهم: لله درّ زيدٍ عالمًا، وقوله تعالى: {كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}، وقوله تعالى كذلك: {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا}، فماءً وفارسًا وعالمًا وشهيدًا ووكيلًا كلّها تُعرب: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد اسم التفضيل:** نحو قولهم: ما أكرَ زيدًا خلقًا، وقولهم: أكرم بزيدٍ خلقًا، فخلقًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد أسلوب المدح والذم:** نحو قولهم: نعم زيد عالمًا، فعالمًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز بعد الفعل "امتلأ" وما شابهه:** ومن ذلك قولهم: امتلأت القاعة طلّابًا، وقولهم: ازدحمت الشوارع ناسًا، فطلابًا وناسًا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

-**التمييز المسبوق بحرف جر زائد:** فقد يأتي التمييز مسبوق بحرف الجر "من" الزائد، وذلك نحو قولهم: قال الله عزّ مِن قائل، فتقدير الكلام: قال الله عزّ قائلًا، وهنا تُعرب "قائل": تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة التي منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجر المناسبة لحرف الجر الزائد.

****

المبحث الثانى

الممنوع من الصرف

الممنوع من الصرف هو اسم لا يقبل التنوين، بعكس الاسم المنصرف الذي يقبل التنوين، وسمي التنوين صرفا؛ لأن له رنّة كرنة الدراهم عند الصيارفة – ما شاء الله على دقة التعريف عند أهل اللغة –

أمثلة على الممنوع من الصرف:

أحمدُ – زينبُ – مساجدُ – مصابيحُ – عرفاتُ (هذا النوع من الأسماء لا يقبل التنوين) .

أمثلة على الاسم المنصرف: – محمدٌ – طائرٌ – بيتٌ.

إعراب الممنوع من الصرف:

قاعدة: يرفع الاسم الممنوع من الصرف بالضمة (جاء أحمدُ)، وينصب بالفتحة (رأيت أحمدَ)، ويجر بالفتحة نيابة عن الكسرة (مررت بأحمدَ)، بمعنى، لا تقل: جاء أحمدٌ (تنوين) وهكذا...؛لأنه اسم ممنوع من الصرف للعلل التي سنذكرها الآن.

متى يمنع الاسم من الصرف ؟

يمنع الاسم من الصرف إذا دخلته علل تسعة جمعها الشاعر في قوله:

اجمعْ وزِن عادلا أنّثْ بمعرفة * ركّبْ وزِدْ عجمة فالوصف قد كملا

الممنوع من الصرف لعلة واحدة:

١ – الاسم المختوم بألف التأنيث الممدودة أو المقصورة، ألف التأنيث الممدودة مثل: أصدقاء – أشياء – أسماء، ألف التأنيث المقصورة مثل: سلمى – حبلى – مرضى.

٢ – صيغة منتهى الجموع: هي كل جمع كان على وزن مفاعل أو مفاعيل ، ويكون أيضا على صيغة فواعل أو فواعيل، يقول سبحانه وتعالى: ‘ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ‘ (الملك ٥)، استخرج من الآية الكريمة اسما ممنوعا من الصرف؟ جواب: بمصابيحَ، ولكن لاحظ أن الباء حرف جر، وبالتالي يجب أن يكون الاسم مجرورا بالكسرة، فلماذا لم يكن مصابيحِ (بالكسر)؟ لأنه ممنوع من الصرف، وما المانع له؟ لأنه على وزن مفاعيل (مصابيح)، وقلنا هذه صيغة منتهى الجموع، وبالتالي يعرب الاسم مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة، يقول سبحانه: ‘ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ‘ (الحج ٤٠) .

استخرج الاسم المنصرف؟ جواب : صوامعُ – مساجدُ، لماذا؟ لأنه صيغة منتهى الجموع ، صوامع (فواعل)، مساجد (فواعل)، بالمقابل انتبه للأسماء (بيعٌ – صلواتٌ) هذه أسماء تنصرف (أي تقبل التنوين) ..واضح ؟

الممنوع من الصرف لعلتين

١ – العلم، وذلك في المواضع التالية:

– إذا كان مؤنثا بالتاء لفظا: قتادة – طلحة – حمزة – معاوية: هذه أسماء أعلام لرجال، لكنها مؤنثة بالتاء لفظا(أي ننطقها)، وبالتالي

هي أسماء ممنوعة من الصرف(أي لا تقبل التنوين)، والسبب المانع هو العلمية والتأنيث اللفظي .

– إذا كان مؤنثا بالمعنى: زينب – مريم – سعاد: هذه أسماء إناث، لكنها غير مختومة بالتاء المؤنثة، وبالتالي هي ممنوعة من الصرف بسبب العلمية والتأنيث المعنوي، يعني زينب واضح أنها أنثى وليست رجلا؟، ماذا تقول في عائشة – حفصة – ميمونة ؟ سؤال رائع جدا، هنا يا صديقي المجتهد عرفنا عائشة أنها أنثى، كما رأينا أنها ختمت بالتاء المؤنثة وبالتالي، هي ممنوعة من الصرف بسبب العلمية والتأنيث اللفظي المعنوي، أرأيت كم الأمر بسيط ؟.

– إذا كان العلم أعجميا زائدا على ثلاثة أحرف: يعني أسماء أصلها غير عربي مثل: إبراهيم – إسماعيل – إسحاق – يعقوب (تذكر كلها أسماء لا تقبل التنوين)، ماذا نقول في محمد – صالح – شعيب ؟ تقبل التنوين أم لا ؟ فكر ...صحيح تقبل التنوين؛ لأنها أسماء عربية وليست أعجمية، ثم ماذا عن هود – نوح – لوط ؟، هي أسماء أعجمية لكن على ثلاثة حروف فقط وليس زائد عليها شيء، وقلنا في القاعدة فوق أنه إذا كان العلم أعجميا زائدا على ثلاثة أحرف، وبالتالي هذه الأسماء تقبل التنوين.

– إذا كان مركبا تركيبا مزجيا، ما هو التركيب المزجي؟، أي نأتي بكلمة مكونة من كلمتين، مثل: حضرموت: مكونة من كلمتين، حضر و موت، وكذلك بعلبك، هذه أسماء ممنوعة من الصرف بسبب العلمية والتركيب المزجي .

– إذا كان مختوما بألف ونون زائدتين، مثال: سلمان – سليمان – عثمان – عمران، لاحظ أن هذه الأسماء مختومة بألف ونون زائدتين، فأصل سليمان سلم، وعمران عمر، وعليه فهما ممنوعان من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون .

– إذا كان على وزن الفعل، مثل: أحمد – يزيد، فلا نقول: مررت بيزيدٍ، بل بيزيدَ، لأنه ممنوع من الصرف بسبب العلمية ووزن الفعل .

– إذا كان معدولا به عن صيغته الأصلية مع بقاء معناه الأصلي، لا تعقدوا الأمر في هذه المسألة لكن أقول لكم احفظوا هذه الأسماء الثلاثة المعدولة المشهورة فقط: عمر معدولة عن عامر، أمس معدولة عن الأمس، سحر معدولة عن السحر(وقت من اليوم) .

٢ – الصفة، وذلك في المواضع التالية:

– إذا كانت مختومة بألف ونون زائدتين، مثال: غضبان – سكران – عطشان.

– إذا كانت على وزن الفعل، مثال: أعرج – أفضل – أخضر.

– إذا كانت معدولة عن وزن آخر وذلك في الكلمات المشهورة التالية: مَثنى – ثُلاث – رُباع – أُخر، لنعد الآن إلى البيت الشعري الذي جمع كل قواعد الاسم الممنوع من الصرف .

اجمعْ وزِن عادلا أنّثْ بمعرفة * ركّبْ وزِدْ عجمة فالوصف قد كملا

اجمع: صيغة منتهى الجموع على وزن مفاعل أو مفاعيل، وفواعل أو فواعيل .

زن: وزن الفعل في العلم والصفة .

عادلا: ما عدل عن علم أو صفة .

أنث: مختوم بألف التأنيث الممدودة أو المقصورة، والمؤنث لفظا ومعنى.

ركّب: الاسم المركب من كلمتين كحضرموت وبعلبك .

زد: زيادة الألف والنون في العلم والصفة .

أمثلة وتدريبات إعرابية:

يقول سبحانه وتعالى: "وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ"، منافعُ: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة لأنه ممنوع من الصرف، المانع له صيغة منتهى الجموع ، ومشاربُ معطوفة على منافع وهي أيضا ممنوعة من الصرف لنفس السبب .

يقول تعالى: "فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ"، أخرَ: صفة لأيام مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للوصفية والعدل.

– مررت بيزيدَ، يزيدَ: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل .

– افتخرت بعمرَ، عمرَ: اسم مجرور بالباء ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعدل .

– مررت بليلى، ليلى: اسم مجرور بالباء ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف بسبب ألف التأنيث المقصورة .

– سافرت إلى حضرموتَ، حضرموتَ: اسم مجرور بإلى ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتركيب المزجي .

– ذهبت إلى إبراهيمَ، إبراهيمَ: اسم مجرور بإلى ، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة

الفصل الثالث

بلاغـــــة

المبحـــث الأول
فى علم البيان

التشبيه

تعريفه:

التشبيه لغة:

هو التّمثيل، شبّهت هذا بذاك، مثّلته به، والتشبيه.

اصطلاحا:

بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدّرة المفهومة من سياق الكلام، والتعريف الجامع هو: صورة تقوم على تمثيل شيء (حسّي أو مجرّد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية أو مجرّدة) أو أكثر، وقد عرّفه القزويني بقوله: «التشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»، وهذا يعني أنّ المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء.

التشبيه في نظر البلاغيين:

ذهب قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) إلى أن التشبيه «إنّما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها» وهذا التعريف موافق لما جاء به بعد حين من الدّهر الخطيب القزويني الذي تقدّم ذكره ولو كان المتأخّر أقلّ وضوحا من المتقدّم، ويزيد فهم الرّماني للتشبيه التعريف وضوحا، فالرمّاني (ت ٣٨٦ هـ)، ذهب إلى أنّه «العقد على أنّ

أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل»، وقد قسمه الرمّاني إلى:

أ . تشبيه حسّي، كماءين، وذهبين، يقوم أحدهما مقام الآخر.

ب . تشبيه نفسي، كتشبيه قوّة عنترة بقوّة غيره من الأبطال.

والتقسيم الثاني الذي ذهب إليه جاء فيه:

–تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر، وتشبيه السّواد بالسّواد.

.–تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما، كتشبيه الشدّة بالموت، والبيان بالسّحر الحلال.

والتقسيم الثالث جاء فيه:

–تشبيه بلاغة، كتشبيه أعمال الكفّار بالسّراب.

–تشبيه حقيقة، كتشبيه الدينار بالدينار.

والملاحظ أن الرمّاني قد أتعب نفسه في التفصيل والإتيان بتسميات مختلفة ومتعدّدة، لأن بعض التسميات مكرّرة أو هي نفسها في الدلالة والوصف، فتشبيه الحقيقة هو نفسه تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، وتشبيه البلاغة هو نفسه تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما، أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ ه) فذهب إلى أنّه يوجد نوعان من التشبيه، نرى في أحدهما وجه الشبه قائما فعلا في كلا الطرفين، كأن يكون مدركا بإحدى الحواس، أو هو أمر عقلي راجع إلى الفطرة، وسمّى هذا النوع من التشبيه (التشبيه الحقيقي الأصلي)، أما في ثانيهما فلا يتحقق وجه الشبه فعلا في كلا الطرفين، بل يوجد في أحدهما على الحقيقة، وفي الآخر على التأويل كما في قولنا: كلامه

كالعسل في حلاوته، فالحلاوة قائمة حقيقة في العسل، ولكنها غير حقيقية في الكلام، وهذا التشبيه يسمّيه عبد القاهر تشبيه التمثيل، وربّما أطلق عليه اسم الشّبه العقلي لأن التأويل من عمل العقل، هذا التشبيه التمثيلي الذي نادى به عبد القاهر مختلف عن تشبيه التمثيل الذي تعارف عليه البلاغيون كما سنرى لاحقا.

أركان التشبيه:

تواضع البلاغيون على أنّ للتشبيه أربعة أركان هي:

المشبّه:

وهو الركن الرئيس في التشبيه، تخدمه الأركان الأخرى، ويغلب ظهوره، لكنّه قد يضمر للعلم به على أن يكون مقدّرا في الإعراب، وهذا التقدير بمنزلة وجوده، مثاله قول عمران بن حطّان مخاطبا الحجّاج (الكامل):

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فلفظ أسد خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنت، وعليه يكون المشبّه ضميرا مقدّرا في الإعراب، وهو ماثل في المعنى وإن لم يظهر بلفظه، والفتخاء: الناعمة.

المشبّه به:

تتوضّح به صورة المشبّه، ولا بدّ من ظهوره في التشبيه، يشترك مع المشبّه في صفة أو أكثر إلّا أنّها تكون بارزة فيه أكثر من بروزها في المشبّه.

* يسمّى المشبّه والمشبّه به طرفي التشبيه.

وجه الشبّه:

هو الصفة المشتركة بين المشبّه والمشبّه به، وتكون في المشبّه به أقوى وأظهر مما هي عليه في المشبّه، قد يذكر وجه الشّبه، وقد يحذف كما سيأتي، وإذا ذكر جاء غالبا على إحدى صورتين هما:

أ . مجرورا ب (في)، كما في قول ابن الرومي:

يا شبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال

ب . تمييزا، ومثاله قول أحده :

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا

وإذا جاء على خلاف هاتين الصورتين، فلا بدّ من تأويله بإحداهما، مثال ذلك قول أحدهم:

العمر مثل الضّيف أو كالطّيف ليس له إقامة

وتأويل وجه الشبه: العمر مثل الضّيف أو كالطيف في قصر إقامته.

أداة التشبيه

هي كل لفظ دلّ على المشابهة، وقد تكون:

أ . حرفا:

كالكاف، كما في قوله تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) يس: ٣٩.

أو كما قال أبو القاسم الشابّي:

عذبة أنت كالطفولة كـــالأحلام كاللحن كالصّباح الـــــجديد

كالسّماء الضحوك كالليلة القمراء كالـــــــورد كابتسام الوليد

وقد كرّر الأداة (الكاف) ثماني مرّات في البيتين، كما تكون كأن أداة التشبيه كما في قول الطيّب صالح في رواية عرس الزين «والزين واقف

في مكانه، في قلب الدائرة، بقامته الطويلة وجسمه النحيل، فكأنه صاري المركب».

ب . اسما:

والأسماء المتداولة في هذا الباب، هي: مثل، شبه، مثل، مماثل، قرن، مضارع، محاك، وما كان بمعناها أو مشتقّا منها، مثال ذلك قول المجنون في ظبية:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنّني لك اليوم من وحشيّة لصديق

وقول آخر:

كم وجوه مثل النهار ضياء لنفوس كالليل في الإظلام

ج . فعلا:

والأفعال المحتملة في هذا الباب هي: شابه، حاكى، ضارع، ماثل، ومضارع هذه الأفعال وما شابهها، وأمثلته قول أحدهم:

تفّاحة جمعت لونين قد حكيا خدّي حبيب ومحبوب قد اتّفقا

وكقول آخر:

وكأنّ البنفسج الغضّ يحكي أثر اللّطم في خدود الغيد

تحدّث الجرجاني عن دور الأداة ودلالتها بقوله: «تقول: زيد كالأسد أو مثل الأسد، أو شبيه بالأسد، فتجد ذلك كلّه تشبيها غفلا ساذجا ثم تقول: كأنّ زيدا الأسد، فيكون تشبيها أيضا، إلا أنّك ترى بينه وبين الأوّل بونا بعيدا؛ لأنّك ترى له صورة خاصة، وتجدك قد فخّمت المعنى، وزدت فيه بأن أفدت أنّه من الشجاعة وشدّة البطش، وأنّ قلبه قلب لا يخامره الذّعر، ولا يدخله الرّوع بحيث يتوهّم أنه الأسد بعينه، ثم تقول: لئن لقيته ليلقينّك منه الأسد، فتجده قد أفاد هذه المبالغة لكن في صورة أحسن

وصفة أخص، وذلك أنّك تجعله في (كأنّ) يتوهّم أنه الأسد، وتجعله هاهنا يرى منه الأسد على القطع، فيخرج الأمر عن حدّ التوّهّم إلى حدّ اليقين» لهذا عدّ التشبيه البليغ الذي حذف منه وجه الشّبه وأداة التشبيه أقوى انواع التشبيه لأنّه يرفع المشبّه إلى مرتبة المشبّه به إلى حدّ المماثلة التامّة.

أمثلة موضّحة:

قال الشاعر:

كم وجوه مثل النهار ضياء لنفوس كالليل في الإظلام

في البيت تشبيهان:

١ . يشبّه وجوه بعض الناس بالنهار في ضيائها وجمالها (في الأوّل).

٢ . يشبّه في الثاني نفوس هؤلاء بالليل في تجهّمها وإظلامها.

في الأول: المشبه: وجوه، المشبّه به: النهار، أداة التشبيه: مثل (اسم).

وجه الشّبه: ضياء.

في الثاني: المشبه: نفوس، المشبّه به: الليل، وجه الشبه: الإظلام، أداة التشبيه: الكاف (حرف).

وقال آخر:

أنت مثل الغصن لينا وشبيه البدر حسنا

في البيت تشبيهان:

في الأول: المشبّه: أنت، المشبّه به: الغصن، أداة التشبيه: مثل، وجه الشبه: لينا.

في الثاني: المشبّه: أنت، المشبّه به: البدر، أداة التشبيه: شبيه، وجه الشّبه: حسنا.

تقسيم طرفي التشبيه إلى حسّي وعقلي

ينقسم طرفا التشبيه (المشبّه والمشبّه به) إلى حسيّين أو عقليين، أو مختلفين.

١ . الطرفان الحسّيان:

وهما اللذان يدركان بإحدى الحواس، ويكونان:

أ . من المبصرا:

إذا كانا يدركان بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما إلى ذلك، كقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

شبّه الممدوح بالنجم في رفعته وضيائه وذكر العيون آلة البصر التي ترى المشبّه والمشبّه به، فالطرفان حسّيان يقعان تحت البصر، ومثله تشبيه الخدّ بالورد، وتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الشعر بالليل.

ب . ويكونان من المسموعات:

مثال ذلك تشبيه صوت المغنّي بصوت البلبل، ومنه قول امرئ القيس في رجل غاظه ميل زوجته نحوه:

يغطّ غطيط البكر شدّ خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتّال

شبّه أمرؤ القيس الزوج الهائج بصوت الفتيّ من الإبل الذي شدّ خناقه بحبل ليروّض، والطرفان حسّيان مسموعان.

ج . ويكونان من المذوقات:

ومنه تشبيه الريق بالشهد والخمر، أو كقول الشاعر:

كأنّ المدام وصوب الغمام وريح ال،خزامى وذوب العسل

يعلّ بهـا برد أنيـــــابها إذا النجم وسط السّماء اعتدل

فالخمر وماء الغيوم وذوب العسل تشبّه جميعا بريق الحبيبة، المشبّه والمشبّه به من المذوقات.

د . ويكونان في المشمومات:

كتشبيه رائحة فم الحبيبة بالمسك وأنفاس الطفل بعطر الزهر.

هـ . ويكونان في الملموسات:

كتشبيه الجسم بالحرير في قول الشاعر:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

٢ . الطرفان العقليّان:

وهما اللذان يدركان بالعقل والوجدان، والمقصود بالوجدان تلك المشاعر النفسية من ألم، ولذّة، وغضب، ورضا، وسعادة، وشقاء، وما إلى ذلك، فلو شبّهنا العلم بالحياة كان طرفا التشبيه عقليّين، فلا العلم محسوس ولا الحياة وإنّما يدركان بالعقل وحده، وهناك تشابيه يخترعها العقل وليس لها كيان خارجي سمّاها البلاغيون بالتشابيه الوهمية. وهي ما لا يدرك بإحدى الحواس، ولكنّه لو وجد فأدرك، لكان مدركا بها، ومثالها، قوله تعالى في شجرة الزقّوم التي تخرج في أصل الجحيم (طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ) الصافات: ٦٥، فالشياطين ليس لها وجود خارجي محسوس، بل هي من عالم الغيب؛ لذلك فرؤوسها غير معروفة إلّا ما أخبرت به الشريعة، لكنها لو وجدت فأدركت لكان إدراكها عن طريق حاسة البصر، وكذلك القول في ما قاله امرؤ القيس الشاعر العربى القديم:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالغول وأنيابها مما لا يدرك باحدى الحواس، ولكنها لو أدركت لكان ادراكها من طريق حاسة البصر، وأعلم أن الوهمّي لا وجود لهيئته ولا لجميع مادّته ، والخيالي جميع مادّته موجودة دون هيئة.

٣ . الطّرفان المختلفان:

وهما اللذان يتكوّنان من مشبّه حسّي ومشبّه به عقلي، أو العكس.

أ . تشبيه المعقول بالمحسوس:

ومثاله قوله تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً وَنِداءً) البقرة : ١٧١، فالكفر شيء عقلي، والمشبّه به الناعق الذي يصوّت للأغنام حسّي.

وكقول الشاعر:

إنّ حظّي كدقيق في يوم ريح نثروه
ثمّ قالوا لحفاة في أرض شوك إجمـــــعوه

فالمشبّه (الحظّ) أمر معنوي يدركه العقل، والمشبّه به (الدقيق) أمر حسّي يدركه اللمس والبصر.

ب . تشبيه المحسوس بالمعقول:

ومثاله قوله تعالى (إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ) الصافات: ٦٤ . ٦٥، فالمشبه (طلعها) حسّي يدرك بالعين واللمس، والمشبّه به (رؤوس الشياطين) عقلي.

وكقول الشاعر:

وندمان سقيت الراح صرفا وأفق الليل مرتفع السّجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دقّ في ذهن لطيف

فالمشبه (صفاء الخمر وصفاء زجاجتها) حسّي يدرك بالعين، أمّا المشبه به (معنى دقّ) فعقلي لا يدرك بالحواس، ومثل هذا كثير في شعر المحدثين.

طرفا التشبيه من حيث الإفراد والتركيب

١ . المفرد وأنواعه:

المفرد بلاغيا: كل ما ليس مركّبا، نحو: الولد نظيف، الولدان نظيفان، الأولاد نظيفون،ويكون المفرد:

١ . **مطلقا:** إذا لم يقيّد بشيء نحو : ثغر كالدرّ ، وخدّ كالورد ، ولحظ كالسهم.

٢ . **مقيّدا:** إذا أتبع بإضافة، أو وصف، أو حال، أو ظرف، أو سوى ذلك، ويجب أن يكون لهذا القيد تأثير في وجه الشّبه، نحو: الساعي بغير طائل كالرّاقم على الماء، وطرفا التشبيه يمكن أن يكونا مطلقين، أو مقيدين، أو مختلفين، أي أن يكون أحدهما مطلقا والثاني مقيّدا، نحو: الشمس كالمرآة في يد المشلول، واللؤلؤ المنظوم كالثّغر.

٢ . المركّب وأنواعه:

المركّب بلاغيا: هو الصورة المكوّنة من عدد من العناصر المتشابكة والمتماسكة.

قد يكون طرفا التشبيه:

أ . مركّبين، نحو قول المعرّي:

كأنّ سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

فالمشبه مركّب من سهيل والنجوم الأخرى وراءه، والمشبّه به مركّب من الإمام القائم في المحراب ومن المصلين الذين اصطفوا وراءه، ومثاله قول بشّار بن برد:

كأن مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

المشبه مركب من النقع مثارا فوق الرؤوس، ومن السيوف اللامعة المتهاوية على رؤوس الأعداء، والمشبّه به مركّب أيضا من الليل الدامس المظلم، ومن الكواكب اللامعة المتهاوية.

ب . مختلفين:

كأن يكون المشبه مفردا والمشبّه به مركّبا نحو قوله:

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقّطا بالعنبر

المشبه هو (الحدائق) مفرد مقيّد بالوصف، والمشبّه به مركّب من الأرجوان المنقّط بالعنبر، أو أن يكون المشبّه مركّبا والمشبّه به مفردا نحو قوله:

لا تعجبوا من خاله في خدّه كلّ الشقيق بنقطة سوداء

المشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو (الشّقيق)، ولعلّك لاحظت أنّه متى ركّب أحد الطرفين فلا يكاد يكون الآخر مفردا مطلقا بل يكون مركّبا أو مفردا مقيّدا كما رأيت في الأمثلة السابقة.

طرفا التشبيه باعتبار تعدّدهما

يعمد الأدباء والشعراء أحيانا إلى تشبيه عدّة أشياء مفردة بعدّة أشياء مفردة، وهذا الضرب من التشبيه قسمه البلاغيون أقساما هي:

١ . التشبيه الملفوف:

هو ما تعدّد طرفاه على أن يؤتي بالمشبّهات أوّلا على طريق العطف وغيره، ثم يؤتي بالمشبّهات بها كذلك، ومثاله قول الشاعر:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقدّ

خمر ودرّ وورد ريق وثغر وخدّ

ففي البيت الأول تعدّد المشبّه في الشطر الأول، فهناك ثلاثة مشبّهات هي: الليل والبدر والغصن على طريقة العطف بالواو، وفي الشطر الثاني ثلاثة مشبّهات بها وهي شعر ووجه وقدّ، وهكذا نرى أن الشاعر شبّه الشعر بالليل، والوجه بالبدر، والقدّ بالغصن، ولعلّك لاحظت أنه عند ما تعدّد الطرفان معا نتج أكثر من تشبيه، وقل مثل ذلك في البيت الثاني.

٢ . التشبيه المفروق:

وهو ما تعدّد طرفاه أيضا على أن يؤتي بكل مشبّه إلى جانب ما شبّه به على التوالي، ومثاله قول المرقّش الأكبر:

النّشر مسك لوجوه دنا نير وأطراف الأكفّ عنم

ففي البيت ثلاثة تشابيه لم يفصل فيها بين المشبّه والمشبّه به، وهي: تشبيه النّشر بالمسك، والوجوه بالدنانير، وأطراف الأكفّ بالعنم.

٣ . تشبيه التسوية:

وهو ما تعدّد فيه المشبّه وبقي المشبّه به مفردا، ومثاله قول لبيد ابن ربيعة العامري:

وما المال والأهلون إلّا ودائع ولا بدّ يوما أن تردّ الودائع

فالمشبّه متعدد (المال والأهلون) والمشبّه به مفرد (ودائع).

٤ . تشبيه الجمع:

هو عكس تشبيه التسوية، يفرد فيه المشبّه، ويتعدّد المشبّه به، نحو قول شوقي يصف طائرة:

ذهبت تسمو فكانت أعقبا فنسورا فصقورا فحماما

المشبه مفرد: الطائرة، المشبه به مركّب (أعقبا+ نسورا+ صقورا+ حماما)، وكقول الآخر:

كأنّما يبسم عن لؤلؤ منضدّ أو برد أو أقاح

المشبه مفرد هو الأسنان، المشبه به مركّب (اللؤلؤ المنظوم+ البرد+ الأقاح).

تمارين:

١ . أذكر أحوال طرفي التشبيه في ما يأتي:

قال الشاعر:

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

وقال:

الخدّ ورد ، والصّدغ غالية والرّيق خمر، والثّغر كالدّرّ

وأيضًا:

شعر الحبيب وحالي كلاهما كاللّيالي

وثغره فـــــي صفاء وأدمعي كاللآلي

وأيضًا:

غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ومن نفسي بالسّيف والسّيل والنّار

وأيضًا:

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو ليل أسحم

فكأنّها فيه نهار مشرق وكأنّـــــه ليل عليها مظلم

أقسام التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشّبه

أولا: باعتبار الأداة:

يقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى:

١ . تشبيه مرسل:

وهو ما ذكرت فيه الأداة. مثال ذلك قوله:

إنّما الدّنيا كبيت نسجه من عنكبوت

حضرت الأداة وحضورها كما يقول أحدهم: «يبقي على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطّرفين في تصنيف الموجودات».

٢ . تشبيه مؤكّد:

وهو ما حذفت منه الأداة ، مثاله قول أحدهم:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

فأداة التشبيه محذوفة والتقدير: أنت مثل النّجم، أو أنت كنجم...ومن المؤكّد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه، ومثاله:

والرّيح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والشاعر يريد تشبيه الأصيل بالذّهب، والماء باللّجين، وهذا الضرب من التشبيه أبلغ، وأوجز، وأشدّ وقعا في النفس، والنكتة في بلاغته أنّه يجعل المشبّه والمشبّه به شيئا واحدا، وقد وفّق الأزهر الزنّاد إلى تفسير علّة التسمية فقال: «بغياب الأداة ينتقل التركيب من إخبار بالمشابهة إلى إخبار بالمشبّه به عن المشبّه، فهو هو، وهذا مدخل التوكيد فيه، لذلك سمّي بالمؤكّد، وفيه تضيق المسافة الفاصلة بين الطرفين فتصل التطابق أو تكاد...فغياب الأداة إيهام بالتطابق، وهو أمر يرتبط بغياب

شحنة المعقولية التي يقوم عليها الجمع بين طرفي التشبيه والتي تعبّر عنها الأداة».

ثانيا: باعتبار وجه الشّبه:

يقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

١ . تشبيه مجمل:

وهو ما حذف منه وجه الشّبه، وبغيابه أجمل المتكلّم في الجمع بين الطرفين فسمّي مجملا، مثاله قول ابن الرومي في مغنّ:

فكأن لذّة صوته ودبيبها سنة تمشّى في مفاصل نعّس

لم يذكر الشاعر وجه الشّبه لأنّه يدرك بسرعة وهو التلذّذ والارتياح، وقد كشف الأزهر الزنّاد عن سرّ التسمية وأثرها بقوله: «وبهذا الإجمال لم يقصد الباثّ إلى تحديد مجال التقاطع وإنّما تركه غائما، وهو دون شكّ يعوّل في ذلك على حدس سامعه في الاهتداء إلى ذلك المجال».

٢ . تشبيه مفصّل:

وهو ما ذكر فيه وجه الشّبه. مثال ذلك قوله مفتخرا:

أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت لهيبا

فوجه الشّبه مذكور في التشبيه وهو (صفاء+ لهيبا)، ورأى الأزهر الزّناد أنّ«بذكره يفصّل المتكلّم وجه الجمع بين طرفي التشبيه فيسهّل على المتقبّل (السامع أو القارئ) العثور على السّمة التي يشترك فيها الطرفان، ولذلك سمّي هذا التشبيه مفصّلا، وهذا التفصيل يبقي على الانفصال الموجود بين طرفي التشبيه إذ يشعر الباثّ سامعه بأنه يقرن بين الطرفين في نقطة واحدة وهما شيئان متمايزان في سائر السّمات».

ثالثا: باعتبار الأداة ووجه الشّبه معا:

يقسم التشبيه باجتماعهما وافتراقهما إلى:

١ . مؤكّد مفصّل:

وهو ما حذفت منه الأداة : وذكر وجه الشّبه، ومثاله:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

الأداة محذوفة، ووجه الشبه مذكور (الرّفعة والضياء).

٢ . مرسل مجمل:

وهو ما ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشّبه، كقوله:

وكأنّ البنفسج الغضّ يحكي أثر اللّطم في خدود الغيد

فالمشبه: البنفسج، والمشبّه به، أثر اللّطم في خدود الملاح، ووجه الشّبه محذوف (اللون)، والأداة: يحكي مذكور.

٣ . تشبيه بليغ:

وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشّبه معا، فهو مؤكّد مجمل، وهو أعلى التشابيه بلاغة ومبالغة في آن، ويأتي على صور متعدّدة تبعا لموقع المشبّه به من الإعراب، وأشهر هذه الصور:

أ. **أن يكون المشبّه به خبرا للمشبّه**، كقول (عمر أبو ريشة):

يا بلادي وأنت نهلة ظمآ ن وشبّابة على فم شاعر

فالمشبّه أنت، والمشبّه به: نهلة ظمآن (وهي في محلّ رفع خبر المبتدأ)، الأداة: محذوفة، ووجه الشّبه مثلها محذوف وتقديره (الجمال)، وهناك تشبيه آخر، المشبّه: أنت، المشبّه به: شبّابة وهو معطوف على الخبر (نهلة)، والأداة محذوفة ووجه الشّبه مثلها محذوف، ومثاله أيضا قول السيّاب:

عيناك غابتا نخيل ساعة السّحر أوشرفتان راح ينأى عنهما القمر

فوجه الشّبه وأداة التشبيه غائبان وبغيابهما فتح الباب أمام الذهن ليتطّلع إلى وجوه اللقاء الممكنة بين الطرفين فإذا هما شيء واحد، أو كالواحد وهذا مدخل البلاغة فيه.

ب . أن يكون المشبّه به حالا للمشبّه، ومثاله: دخل نمرا، وخرج هرّا فالمشبّه محذوف تقديره هو، والمشبّه به نمرا (حال) والأداة ووجه الشّبه غائبان محذوفان، والقول نفسه يصحّ في: خرج هرّا، ومثاله أيضا قول علي محمود طه:

صاح بالشّمس لا يرعك عذابي فاسكبي النّار في دمي وأريقي

وخذي الجسم حفنة من رماد وخذي الرّوح شعلة من حريق

في البيت تشبيهان: في الأول: المشبّه: الجسم، المشبّه به: حفنة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: الرّوح، والمشبّه به: شعلة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

ج . أن يكون المشبّه به مضافا إلى المشبّه:

ومثاله: لبس المريض ثوب العافية، فالمشبّه العافية، والمشبّه به ثوب، والعافية مضافة إلى الثوب، ومنه أيضا قوله الياس فرحات:

هلّا مننت بلقيا أستردّ بها فجر الشّباب فشمس العمر في الطّفل؟

في البيت تشبيهان:

في الأول: المشبّه (الشباب) مضاف إليه، المشبّه به: (فجر) أضيف إلى المشبّه .. والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: العمر (مضاف إليه)، والمشبّه به: الشمس (مضاف إلى المشبّه) والأداة ووجه الشّبه محذوفان، وهذا من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه.

د . أن يكون المشبّه به مفعولا به ثانيا ، والمشبّه مفعولا أوّلا ،

ومثاله قول المازني في وردة ذابلة:

ولو استطعت حنيت أض لاعي على ذاوي سناها

وجـــعلت صدري قبرها وجعلت أحشائي ثراها

في البيت الثاني تشبيهان:

في الأوّل: المشبّه: صدري مفعول به أوّل ل (جعل)، والمشبّه به: قبرها: مفعول به ثان ل (جعل)، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

هـ . أن يكون المشبّه به مفعولا مطلقا مبيّنا للنّوع.

على أن يكون المشبّه مصدرا مقدّرا من الفعل العامل فيه، ومثاله قول المازني في الوردة الذابلة:

وضممتها ضمّ الحبي ب عسى يعود لها صباها

فالمشبّه: الضمّ (مصدر مقدّر من الفعل ضممتها) والتقدير ضممتها ضمّا كضمّ...والمشبّه به: ضمّ: مفعول مطلق من الفعل ضمّ، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

و . أن يكون المشبّه به مجرورا ب (من) البيانية التي تبينّ المشبّه

كقول الشابّي:

ورفرف روح غريب الجمال بأجنحة من ضياء القمر

المشبّه: أجنحة الروح، المشبّه به: ضياء القمر مسبوق ب (من) البيانية التي بيّنت نوع الأجنحة، والأداة ووجه الشّبه، محذوفان.

ز. أن يكون المشبّه به أحد التوابع.

ومثاله قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً) الأحزاب: ٤٥. شبّه عليه الصلاة والسلام بالمصباح المنير الذي يهدي البشر إلى الله تعالى، فالمشبّه النبيّ والمشبّه به: سراجا (معطوف على الحال شاهدا) والأداة ووجه الشبه محذوفان.

تمارين:

١ . بيّن أنواع التشبيه في ما يأتي:

قال الشاعر:

وسهيل كوجنة الحبّ في اللو ن وقلب المحبّ في الخفقان

قال الشاعر:

وشربت الفجر خمرا في كؤوس من أثير

قال الشاعر:

سحبت الدّياجي فيه سود ذوائب لأعتنق الآمال بيض ترائب

قال الشاعر:.

ثوب الرياء يشفّ عمّا تحته فإذا اكتسيت به فإنّك عاري

قال الشاعر:

علق المجاعة مصّ بعض دمائه وتعسّف الحكام مصّ الباقي

قال الشاعر:

وقف التاريخ في محرابها وقفة المرتجف المضطرب

قال الشاعر:

أأمانيّ كلّها من تراب وأمانيك كلّها من عسجد

تشبيه التّمثيل وغير التمثيل

أولا: تشبيه التمثيل:

١ . تعريفه:

هو ما كان وجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، أو هو الذي يكون وجه الشّبه فيه مركّبا.

٢ . شروطه:

اشترط البلاغيّون تركيب الصورة فيه، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبته حسّية أو معنوية، وكلّما كانت عناصر الصورة أكثر، كان التشبيه أبعد وأبلغ.

٣ . أمثلته:

قال ابن الرومي (المنسرح):

أوّل بدء المشيب واحدة تشعل ما جاورت من الشّعر

مثل الحريق العظيم تبدؤه أوّل صول صـــــغيرة الشّرر

في هذين البيتين مشهدان متفقان في وجوه عديدة تلتقي لتكوّن في النهاية وجها واحدا، للأجزاء المكوّنة لكل مشهد قيمة في تجمّعها ولا قيمة لكل جزء منفردا، يتكوّن المشهد الأول من الأجزاء الآتية: غزا الشيب شعر الشاعر فبدأ بشعرة بيضاء ثم توسّع في هذا الشعر الأسود حتّى قضى عليه قضاء مبرما فاتسعت دائرة البياض وتوارت دائرة السّواد. المشهد الثاني المقابل يتمثّل في حريق عظيم بدأ بشرارة صغيرة ثم أخذت نيرانه تتوسّع ملتهمة كل ما يقع في طريقها، لنبحث في هذين المشهدين المتقابلين عن عناصر تشبيه التمثيل: فبين المشيب وبقايا النار جامع البياض المشرب بالسواد الخجول، والمشيب يأتي على

الشعر بأكمله تدريجيا والنار تلتهم كل ما يقف بوجهها تدريجيا أيضا، الشّيب يبدأ بشعرة واحدة والحريق العظيم تبدؤه شرارة صغيرة وهكذا فإن تشبيه التمثيل هذا يتكوّن من:

تشبيه (١) وفيه: مشبه (١) + مشبّه به (١) + وجه شبه (١)

تشبيه (٢) وفيه : مشبه (٢) + مشبّه به (٢) + وجه شبه (٢)

تشبيه (٣) وفيه : مشبه (٣) + مشبّه به (٣) + وجه شبه (٣)

والخلاصة أن تشبيه التمثيل مكوّن من مشبّه متعدّد+ وجه شبه متعدّد+ مشبّه به متعدّد، ولهذا كان تشبيه التمثيل محتاجا إلى عمليّات ذهنية متلاحقة لفكّ أجزائه والتعرّف إلى التماثل القائم بين هذه الأجزاء. فالصورة فيه أشبه بالومضات (فلاش) المتلاحقة التي تجسّد في النهاية صورة متكاملة ولهذا كانت الصورة مشهدا متتابعا ، ويجب التنبّه إلى أن المعوّل عليه في التعدّد هو وجه الشّبه فقط، وقال ابن المعتزّ (الوافر):

كأنّ سماءنا لمّا تجلّت خلال نجومها عند الصّباح

رياض بنفسج خضل نداه تفتّح بينه نور الأقاحـــي

في البيتين مشهدان متفقان في وجوه عديدة، يتكوّن المشهد الأوّل من الأجزاء الآتية: تجلّت السّماء صباحا وقد انتشرت نجومها فبدت زرقاء بيضاء صفراء، المشهد الثاني يتكوّن من الأجزاء الآتية: رياض متناثرة يجتمع فيها البنفسج المخضّل بالندى إلى جانب روضة أخرى من الأقاحي التي تفتّح زهرها الأبيض المشوب بصفرة، لنبحث في هذين المشهدين المتقابلين عن عناصر تشبيه التّمثيل: بين تجلّي السماء وانتشار نجومها صباحا وبين رياض البنفسج المتناثرة جامع الزرقة البنفسجية، بين ندى الصبّاح وندى الأزاهير جامع اخضلال ونداوة، بين

روض النجوم المتناثرة ورياض الأرض جامع التناثر في النجوم الذي يقابله تناثر الورود وتفرّقها في المرج الفسيح الذي يشبه رحابة السّماء وتداخل الألوان البنفسجي والأبيض والأصفر، يشبه تداخل ألوان السّماء وقد انحسرت النجوم في مكان منها وتناثرت في مكان آخر، فوجه الشّبه كما ترى صورة منتزعة من متعدّد، ولو حذفنا شيئا من المشبّه أو المشبّه به لاختلّ التوازن بين أجزاء المشهدين المتقابلين، واختل معه وجه الشّبه الجامع بين أجزاء صورتي المشبّه والمشبّه به، وقال البحتري في شقائق النعمان (الطويل):

شقائق يحملن النّدى فكأنه دموع التّصابي في خدود الخرائد

عناصر المشهدين متضافرة لتقديم صورة متكاملة، لنبحث عن هذه العناصر:

في المشهد الأول : شقائق النعمان+ الندى الذي يكلّلها

في المشهد الثاني : خدود الملاح+ دموع التّصابي المتساقطة

ووجه الشبه مكوّن من قطرات جميلة صافية تلمع فوق سطوح جميلة بيضاء مشوبة بصفرة، ولهذا كان وجه الشّبه منتزعا من متعدّد لا يمكن حذف جزء من المشبّه أو المشبّه به وإلّا فإن وجه الشبه الجامع بين أجزائهما يختلّ ويتعطّل تناسق الصورة وتفقد رونقها.

ثانيا: تشبيه غير التّمثيل:

١ ـ تعريفه:

هو ما كان فيه وجه الشّبه مفردا، أي أنه ليس صورة منتزعة من متعدّد.

٢ ـ أمثلته:

قال البحتري (الخفيف):

هو بحر السّماح والجود فازدد منه قربا تزدد من الفقر بعدا

فعناصر التشبيه هي: المشبه: الممدوح، والمشبّه به: البحر، وجه الشبه: الجود، وهكذا فإنّ وجه الشبه ليس صورة منتزعة من متعدّد كما في تشبيه التمثيل، وقال أبو بكر الخالدي (م الرّمل):

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا
زارنا حتـــى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

فالمشبّه في هذه الأبيات جميعا هو الحبيب. أمّا المشبّه به فهو على التوالي: البدر والغصن والورد، وجه الشّبه فيها صفات متعدّدة ولكنّها مفككة وليست مجموعة ومترابطة لتكوّن كلّا موحّدا إذ يمكن الاكتفاء بجزء منها وحذف أجزاء أخرى، ويبقى التشبيه قائما بعكس ما يحدث في تشبيه التمثيل الذي تكوّن عناصره كلّا مستقلّا لا يتخلّى عن أيّ جزء من أجزائه ولا يقوم إلّا بعناصره مجتمعة.

تمرينات:

١ . ميّز تشبيه التمثيل من غيره فيما يأتي:

–قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ) الكهف: ٤٥.

–وأيضًا: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً) الحديد: ٢٠.

وقال الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرّمضاء بالنّار

وقال أيضًا:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقال أيضًا:

عيناه عالقتان في نفق كسراج كوخ نصف متّقد

وقال أيضًا:

والصّدر فارقه الرّجاء فقد غدا وكأنّه بيت بلا مصباح

وقال أيضًا:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

وقال أيضًا:

لله نهر سال في بطحاء أحلى ورودا من لمى الحسناء

وقال أيضًا:

يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنّه آس يجسّ عليلا

وقال أيضًا:

يهزّ الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

وقال أيضًا:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

******

التشبيه الضّمني

١ . تعريفه:

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، من هذا التعريف ندرك أنّه مضمر في النّفس وأنه يؤثر فيه التلميح على التّصريح، كما أن التسمية تشير إلى أن التشبيه غير ظاهر في الكلام وإنّما على المتلقّي أن يفهمه ضمنا لأنّه يخاطب ذكاءه وفطنته، ويؤتى بهذا النوع من التشبيه ليدلّ على أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبّه ممكن وإن لم يغب عنه جانب التّخييل.

٢ . مزاياه:

من أهم المزايا التي يختصّ بها نذكر ما يأتي:

. لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشّبه بشكل صريح.

. لا يرتبط فيه المشبّه بالمشبّه به ارتباطهما المعروف في باقي أنواع التشبيه، بل تلمح بينهما العلاقة من خلال المعنى الذي يكاد يخفيه التشبيه.

. هو أبلغ من غيره، وأنفذ في النفوس والخواطر لاتخاذه جانب التلميح واكتفائه به.

. يكثر وروده في الحكم والمواعظ والأمثال.

. كثيرا ما يأتي في جملتين متواليتين لكلّ منهما معناها المستقلّ، وقد تربط جملة المشبّه به بجملة المشبّه بحرف الواو، كقول أبي فراس (الطويل):

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

أو بحرف الفاء كقول المتنبي (الوافر):

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

٣ . أمثلته:

قال ابن الرّومي (الخفيف):

قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النّور في القضيب الرّطيب

لم يقل ابن الرّوم : الفتى وقد وخطه الشّيب كالغصن الرّطيب عند إزهاره لكنّه أتى بهذا المعنى ضمنا؛ ولهذا سمّي هذا التشبيه ضمنيا، وقال أبو فراس (الطويل):

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

لم يقل أبو فراس: أنا إذا اشتدّ الخطب على قومي كالبدر الذي ينير الليلة الظلماء، بل ترك للمخاطبين أن يستنتجوا ذلك، وسيذهب ذهنهم إلى مثل هذا التشبيه لمجرّد سماعهم عجز البيت، وقال غيره (الكامل):

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السّهام ونزعهنّ أليم

يفهم البيت على أنّه تشبيه وإن غاب منه ما يدلّ على التشبيه، لقد سكت الشاعر عن جزء من الصورة مطالبا القارئ أو المتلقّي باكتشافه، وليس من الصعب اكتشافه. فالمتلقّي يدرك أنّ الشاعر يشبّه نظرة الحبيبة وإعراضها برشق السّهام ونزعها من جسد المطعون بها، فعينا الحبيبة ترشق بنظراتها الحبيب أو تعرض عنه فيكون لرشقها وإعراضها ألم كألم يحدثه الطّعن بالسّهام أو نزعها من جسد المطعون، وقال المتنبّي (الخفيف):

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميّت إيلام

لم يقل المتنبي إنّ المتهاون بكرامته مرّة لا يحسّ بذلّ جديد يصيبه لأن كرامته ميتة، والكرامة الميتة كالجسد الميت لا يتألم إذا جرح جرحا جديدا، لقد مثّل الشطر الثاني المشبّه به ولم يرتبط بالصدر الذي يمثّل المشبّه بأيّ رابط لفظي، لكنّ الارتباط المعنوي عوّض عن الرابط اللفظي.

٤ . بين التشبيه الضمني والتشبيه التمثيلي:

. الأداة ووجه الشّبه محذوفان وجوبا في التشبيه الضمني لكنّهما محذوفان جوازا في التشبيه التمثيلي.

. المشبّه والمشبّه به معنى مركّب في كليهما من عدّة أجزاء.

. تربط المشبّه بالمشبّه به علاقة نحوية أو إعرابية في التشبيه التمثيلي، ولا يرتبطان في التشبيه الضمني بأية علاقة نحوية، بل تكون جملة المشبّه به استئنافية لا محلّ لها من الإعراب غالبا.

تمرينات:

١ . بيّن نوع التشبيه، وادرس أركانه واشرحه مبيّنا جماليّة الصورة:

قال الشاعر:

ضحوك إلى الإبطال وهو يروعهم وللسيّف حدّ حين يسطو ورونق

قال الشاعر:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذّهب الرّغام

قال الشاعر:

تزدحم القصّاد في بابه والمنهل العذب كثير الزّحام

قال الشاعر:

نرجو النّجاة ولم تسلك مسالكها إنّ السفينة لا تجري على اليبس

قال الشاعر:

والليل تجري الدّراري في مجرّته كالرّوض تطفو على نهر أزاهره

قال الشاعر:

إنّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

قال الشاعر:

إطراقه يخشى ويرهب صمته والسّيف محذور وإن لم يشهر

قال الشاعر:

لهيب قلبي أفاض الدّمع من بصري والعود يقطر ماء حيث يحترق

قال الشاعر:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا إنّ السّماء ترجّى حين تحتجب

قال الشاعر:

غادة زانها من الغصن قدّ ومن الظبي مقلتان وجيد

قال الشاعر:

وزهاها من فرعها ومن الخذ دين ذاك السّواد والتوريد

****

التشبيه المقلوب

١ . تعريفه:

هو تشبيه معكوس يصير فيه المشبّه مشبّها به بادّعاء أنّ وجه الشّبه فيه أقوى.

٢ . أمثلته:

قال أحدهم (الكامل):

وبدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

فالمشب : غرّة الصّباح وتباشيره، والمشبّه به: وجه الخليفة، فالشاعر شبّه تباشير الصّباح في ضيائها بوجه الخليفة عندما يسمع المديح، وقد خرج الشاعر على المألوف في تشبيهه لأنّ المألوف والمتداول أن يشبّه وجه الخليفة بتباشير الصّباح ولكنّ الشاعر عكس الآية بهدف الإغراب والمبالغة.

وقال بشّار (البسيط):

وذات دلّ كأنّ البدر صورتها باتت تغنّي عميد القلب سكرانا

المشبّه به: المرأة الحبيبة المدلّلة، والمشبّه: البدر، فالشاعر كسر المألوف وخلخل العلاقة بين المشبّه والمشبّه به، فقلب المعادلة وصدم القارئ لأنّه خرج على المألوف الذي استنفدت طاقاته الإيحائية، فخرّب العلاقة بين المشبّه والمشبّه به ليأتي بجديد مبالغ فيه، فبدل أن تشبه المرأة الجميلة البدر صار البدر عند الشاعر يشبه المرأة الجميلة لأن وجه الشّبه أقوى في المشبّه به منه في المشبّه، ولهذا فإنّ الشاعر يزعم أن المرأة الحبيبة أجمل من البدر، لهذا عدّ التشبيه المقلوب ضربا من التجديد في الأساليب القديمة.

٣ . من شروطه:

الشرط الرئيس في استعماله ألّا يرد إلّا في ما جرى عليه العرف لدى العرب، وهذا الشرط يحافظ على وضوح صورة القلب والانعكاس، وإلّا فإنه يصبح ضربا من الإلغاز.

٤ . قيمته البلاغية:

سمّاه ابن جنّي: غلبة الفروع على الأصول، وقال: لا تجد شيئا من ذلك إلّا والغرض منه المبالغة»، وسمّاه ابن الأثير في المثل السائر «الطّرد والعكس» وقال عنه عبد القاهر «هو جعل الفرع أصلا والأصل فرعا»، لهذا عدّ التشبيه المقلوب ضربا من المبالغة وكسر الرتابة في التشابيه المبتذلة التي مجّها الذوق وملّها السمع لفرط تردّد المعاني المكرورة، فجاء التشبيه المقلوب ليقضي على الرّتابة.

تمارين:

١ . دلّ على التشبيه المقلوب واشرحه، واذكر أسباب كونه مقلوبا:

قال الشاعر:

كأنّها حين لجّت في تدفّقها يد الخليفة لمّا سال واديها

قال الشاعر:

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنّيها

قال الشاعر:

وترى الغصون تميل في أوراقها مثل الوصائف في صنوف حرير

قال الشاعر:

وكأن أجرام السّماء لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

****

التشبيه الدائري (الاستطرادي)

١ . تعريفه:

هو تشبيه يبدأ ب (ما)، وينتهي ب (الباء) الداخلة على أفعل التفضيل (أفعل)، وغالبا ما يكون بين الفاتحة والخاتمة وصف للمشبّه به عادة قد يطول، وقد يقصر، ليعود في النهاية ويفضّل المشبّه على المشبّه به، وتكمن قيمته في طول نفسه واتساع عبارته حيث يترك الشاعر المشبّه ليسترسل في تصوير المشبّه به وتعظيمه ليعود في البيت الأخير منه فيفضّل المشبه على المشبّه به زيادة في المبالغة والغلوّ، وأكثر ما ورد بأربعة أبيات، وقد يرد في أقلّ من أربعة، وربّما سمّي استطراديا لأنّ الشاعر يستطرد فيه إلى تفصيل أجزاء المشبّه به والإحاطة بمناحي الجمال والعظمة فيه ليكون في تفضيل المشبّه عليه إغراق في التعظيم والمفاضلة.

٢ . أمثلته:

قال النابغة (البسيط):

قال الشاعر:

فما الفراتـ إذا هبّ الرّياح لـــه ترمـي أو اذيّه العبرين بالزّبد
يمدّه كلّ واد مترع لـــــــجب فيه ركـام من الينبوت والخضد
يظلّ من خوفه الملّاح معتصما بالخيزرانة بعد الأين والنّجـــد
يوما بأجود منه سيب نافلـــة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

أراد النابغة أن يبالغ في وصف كرم النعمان فذهب إلى أنّ الفرات في حال فيضانه الأكبر عند ما ترمي أمواجه بالزّبد على ضفّتيه ويصبّ فيه كل واد ممتلئ بالماء تصطخب أمواجه فتجرّ كل شيء وتجتاح

الركام من طمي ونبات، في هذه الحالة من الهيجان يدخل الخوف إلى قلب الملّاح فيبقى معتصما بمقدّمة السفنية وقد أدركه الخوف وأعياه الجهد، الفرات في حالة فيضانه هذه ليس أجود من النّعمان الذي لا يحول عطاء اليوم عنده دون عطاء الغد في حين يبقى فيضان الفرات موسميّا وعند ذوبان الثلج في المنبع، لقد استطرد الشاعر في وصف المشبّه به ثم استدار فنّيا ليجعل المشبّه أعلى رتبة من المشبّه به في حال كماله هذا، وقد استخدم الشاعر الواسطة اللفظية وما...بأجود، وقد سلك الأخطل طريق النابغة، فتوكأ عليه في تشبيهه الاستطرادي هذا محدثا تعديلا طفيفا فيها عند ما قال (البسيط):

وما الفرات إذا جاشت غـــــواربه في حافتيه وفي أوساطه العشر
وزعزعته ريــاح الصّيف واضطربت فوق الجآجئ من آذيّة غـــــدر
مسحنفر مـــــن جبال الروم يستره منها أكافيف فيـــــها دونه زور
يوما بأجـــــود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتـــــــهر

وقد أفرط الأعشى في اعتماد هذا الضرب من التشبيه، وربما كرّره في القصيدة الواحدة، ومن أطول التشابيه الاستطرادية تشبيه للأعشى وصف فيه الأسد، وعدّته عشرة أبيات (٣) من البيت ٢١ إلى البيت ٣٠، وفي القصيدة نفسها عاد إلى تشبيه استطرادي عدّة أبياته ثلاثة، لكنّه في وصف كرم الممدوح هذه المرّة، من البيت ٣١ وحتى البيت ٣٣، وقد أحصيت في ديوان الأعشى ثلاثة عشر تشبيها استطراديا حافظ أكثرها على العدد الشائع من الأبيات وهو أربعة أبيات، وقد يقصر التشبيه الاستطرادي إذ يقتصر على بيت واحد كقول طفيل الغنوي (الطويل):

فما أمّ أدراص بأرض مطلّة بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

وقد أحصى أحد الباحثين ثمانية وخمسين تشبيها استطراديا، لاثنين وعشرين شاعرا جاهليا، كان نصيب الأعشى وحده منها ثلاثة عشر تشبيها.

تمرينات:

١ . دلّ على التشابيه الاستطرادية واشرحها مبيّنا قيمتها الجمالية:

قال الأعشى (ديوانه ص ٩٩):

وما فلج يسقي جـــداول صعنبى له شرع سهل على كلّ مــورد

ويروي النبيط الزرق من حجراته ديارا تروّى بالأتيّ المـــــــعمّد

بأجود منه نائلا، إنّ بعضــهم كفى ماله باسم العطاء الموعّد

****

المصادر والمراجع

- **أبو تمام، حبيب بن أوس الطائى:** الديوان، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).
- **ابن حجة الحموى:** خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شعيتو، ط/ دار ومكتبة الهلال، سنة ١٩٨٧.
- **ابن خلكان:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: د. إحسان عباس، ط/ دار صادر- بيروت، سنة ١٩٧١.
- **ابن رشيق القيروانى:** العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيى الدين عبدالحميد، ط/ دار الجيل- بيروت، سنة ١٩٧٢.
- **أبو عبادة البحترى:** الديوان، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).
- **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد:** الكامل فى اللغة والأدب، ت: محمد أحمد الدالى، ط/ مؤسسة الرسالة- بيروت، سنة ١٩٨٦.
- **الثعالبى:** ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، ت: محمد إبراهيم، ط/دار المعارف، سنة ١٩٨٥.
- **أحمد شوقى:** الديوان، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).
- **الحصرى:** زهر الآداب وثمر الألباب، ت: زكى مبارك، ط/ دار الجيل-بيروت،(د.ت).
- **الخطيب القزويني:** التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٣٢.

- **السيد أحمد الهاشمي:** جواهر البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **د.شوقى ضيف:** فصول فى الشعر ونقده، ط٢/ دار المعارف .
- **د. طه حسين:** من حديث الشعر والنثر، ط/ دار المعارف .
- **عبدالقاهر الجرجانى:** دلائل الإعجاز، ت: محمد محمود شاكر، ط٢/ مكتبة الخانجى- القاهرة، (د.ت).
- **د.عبدالمنعم خفاجى:** الأدب العربى وتاريخه فى العصرين الأموى والعباسى، ط/ دار الجيل-بيروت، سنة ١٩٩٠.
- **د.مصطفى الشكعة:** الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ط/ دار العلم للملايين- بيروت، سنة ١٩٩٣.

******

الفهرست

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	الفصل الأول: أدب ونصوص	٥
٣	الفصل الثانى: لغويات	٦٧
٤	الفصل الثالث: بلاغة	١١٠
٥	المصادر والمراجع	١٤٤
٦	الفهرست	١٤٦